لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب
(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث والأربعون

فى الهجاء ومقدماته

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولاصدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الإنسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا . قال المتوكل لأبى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا أو أساؤا . وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الأمين

إنى من القوم الذين همو همو قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد
شادوا لذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله إنى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر بأول إنسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع إليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه . ومن العبث بالهجو ماروى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال أبت شفتاى اليوم الاتكلما بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله أرى لى وجها قبح الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بأمه فقال :

تنحى فاجلسى عنا بعيدا أراح الله منك العالمينا أغربالا إذا استودعت سرا
وكانونا على المتحدثينا حياتك ماعلمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أم مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام . وقال رجل لآخر إن هجوتنى أموت ابتى قال لا قال أفتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع ساق إلى حلق فى

حر أمك

(بقية ثمرات الأوراق)

(قال الشافعى رضى الله عنه)

وهى أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز إلى أين عزمت فقلت إلى المنزل فقالت هيهات تخرج فى مكة بالامس فقيرا وتعود إليها مسترفا تفخر على بنى عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت ناد بالابطح فى العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وصار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث إلى يستحثنى على الفعل ويعدنى أنه يحمل إلى فى كل عام مثل ما صار إلى منه وما دخلت إلى مكة وأنا أقدر على شىء مما جاء معى الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة فناولنى اياها امة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت أدفع إليها جميع ما تأخر معك قال فدفعت إليها ودخلت إلى

حرأمك قال ولم تركت رأسك قال لأنظر ما تصنع ، وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لم يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك ، وكان الرجل من نمير إذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار إذا قيل لأحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما لقيت قبيلة من العرب يهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن يسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير إلف   يا غريما أتى على ميعاد

ياركودا فى وقت غيم وصيف   يا وجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشىء فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن يزيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال

داود محمود وأنت مذمم   عجبا لذاك وانتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد   نصفا وباقيه لحش يهودى

فالحش أنت له وذاك بمسجد   كم بين موضع مسلح وسجود

هذا جزاؤك ياقبيص لأنه   جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء فى خالد أبوك لنا غيث يغيث بوبله   وأنت جراد لست تبقى ولا تذر

له أثر فى المكرمات يسرنا   وانت تعفى دائما ذلك الأثر

(وقال) المبرد فى حقه لم يجتمع لأحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له ، ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة   لا يجمع الله بين السخل والذيب

السخل يعلم أن الذئب آكله   والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضاً)

ياابا الفضل لاتنم وقع الذئب فى الغنم   ان حماد عجرد شيخ سوء قد اغتنم

بين فخذيه حربة فى من الادم   ان رأى ثم غفلة يجمع الميم بالقلم

فضاعت الأبيات فأمر الأمين بإخراج حماد (وقال) رجل لأخيه لأبويه لاهجونك هجاء يدخل معك فى قبرك قال كيف تهجونى وأبوك أبى وأمك أمى قال أقول :

بنى أميه هبوا طال نومكموا   أن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا   خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدى فاخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدى وانحدر إلى البصرة لينظر فى أمرها فسمع أذانا فى ضحى النهار فقال انتظروا ماهذا وإذا به بشارا وهو سكران فقال له يازنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب به سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقى فى سفينة فقال عين الشمقمق ترانى حيث يقول : ان بشار بن برد تيس أعمى فى سفينة

فلما مات ألقيت جثته فى الماء فحمله الماء فاخرجه إلى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الأذى منه وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا إلى عافية القاضى فلما رآه أبو دلامه أنشد يقول:

لقد خاصمتنى دهاة الرجال   وخاصمتها سنة وافيه

فما ادحض الله لى حجة   ولاخيب الله لى قافيه

ومن خفت جوره فى القضاء   فلست أخافك ياعافيه

مكة فما بث تلك الليلة الاهديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل إلى فى كل عام مثل ما كان دفع إلى أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق فى الحجاز وخرجت الى مصر فعوضنى الله عبدالله ابن عبدالحكم فقام بالكلفة فهذا جميع ما لقيته فى سفرى فافهم ذلك ياربيع قال الربيع وسألنى المزنى فى إملاء ذلك بحضرته فلما وجدنا للمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر إلى أحد غيرى (ومن لطائف المنقول) ما نقله القرطبى فى كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة أبى طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج إلى الكعبة يوما وأراد ان يصلى فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل لعنة الله من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبى صلى الله عليه وسلم فانفتل النبى صلى الله عليه وسلم من صلاته وأتى إلى أبى طالب عمه وقال ياعم ألا ترى ما فعل بى فقال له أبو طالب من فعل بك

فقال عافية لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني قال أبو دلامة إذاً والله يعزلك قال ولم قال لانك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله ائن لم تهج واحد ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر إلى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر إلى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامة فلست من الكرامة ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
إذا لبس العمامة قلت قردا وخنزيرا إذا نزع العمامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وقال) ابن الأعرابي ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد ابن وهب في محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما لم يند سيفك مذ قلدته بدم

(وهجا) بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره

أنظر إلى الايام كيف تسوقنا قسرا إلى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه ابن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم:

أقول وقد عاينت دار ابن صورة وللنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الأديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها أن تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافة قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها فينا وأين الأسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت عنه العتاق الجرد في حملاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت في أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسواها أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان وأشكال لها مما يفوت العين كنه ذواتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها حجامة ابليت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ما راعني شيء سوى وزغاتها فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تظن عقارها حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رح فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا ة ولا حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها والأرض قد نسجت على آياتها

هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفي هذا ثم قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله ابن الزبعرى فأخذوا أبو طالب فرسا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك آية قال وما هي قال تمنع قريشا أن يؤذوني وتأبى أن تأمن بي فقال أبو طالب

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب فينا
فامض لأمرك قد دعتك ناصحي
فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك يقينا

* وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل تنفع نصرة أبي

فضجيجها كالرعد فى جنباتها وترابها كالرمل فى خشناتها واليوم عاكفة على أرجائها
والدود يبحث فى ثرى عرصاتها والجن تأتيها إذا جن الدجى تحكى الخيول الجرد فى حملاتها
والنار جزء من تلهب حرها وجهنم تعزى إلى لفحاتها شاهدت مكتوبا على أرجائها
ورأيت مسطوراً على جنباتها لاتقربوا منها وخافوها ولا تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبداً يقول الداخلون ببابها يارب نج الناس من آفاتها قالوا إذا اندب الغراب منازلا
يتفرق السكان من ساحاتها وبدارنا الفا غراب ناعق كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا امل الله يعقب راحة للنفس إذا غلب على شهواتها دار تبيت الجن تحرس نفسها
فيها وتندب باختلاف لغاتها كم بت فيها مفردا والعين من شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا يارازقا للوحش فى فلواتها أسكنتنى بجهنم الدنيا فنى
أخراى هب لى الخلد فى جناتها واجمع بمن أهواه شملى عاجلا يا جامع الأرواح بعد شتاتها

(ولبعضهم فى بلان) أشكو إلى الله بلانا بليت به مست أنامله ظهرى فأدمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا)

وبلان له ظفر يباهى به حد الشفار المرهفات هرى جسمى فألبسه نجيعا على حلل الستور السابلات ورام بلين أعضائى برفق فأيبسها وكسر فوقحاتى ولم أنظر له أبدا جيلا وذلك من عظيم المهلكات وأعمى مقلتى بصنان ابط يفوح به على كل الجهات فلا تجعل الهى مثل هذا يغسلنى إذا حانت وفاتى

(ولبعضهم فى حمام) وحمام دخلنا لامره حكى سقرا وفيها المجرمون
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أتجمل يانظام الملك أنى أعود من ذراك كما قدمت وأصدر عن حياضك وهى نهب بأفواه السقات وما ردت يدل على فعالك سوء حالى ويخبر عن نوالك ان كتمت
إذا استخبرت مانلت منه وقد عم الورى كوما سكت

(ومن) عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف ومثلك إن قال قولا يفى فان أنت أنجزت لى ماوعدت والا هجيت وأدخلت فى وقد علم الناس مابعده فى فقط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده ويقول

أعد مدحى على وخذ سواه فقد أتعبتنى يامستريح
ولا تغضب إذا أنشدت يوما سواه وقيل لى هذا صحيح

(وله أيضا يقول) أعدمدحا كذبت عليك فيه وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكن ماأصدق فيك قولا فلا يصعب عليك الحق منه

(وقال بعضهم فى حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيئا)

مضوا ليحجوا والوجوه كأنها تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن الفارقون وجوههم فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا ومادوا بعود أراكة ولاوضعوا فى كف طفلالنا نقلا

طالب قال نعم رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه فى نعلين من نار فى رجليه يغلى منهما دماغه وهو أهون أهل النار عذابا وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طالب قل لا إله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا ان يعايرونى بها يعنى قريشا يقولون انما حمله الجزع لأقررت بها عينيك فأنزل الله تعالى انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (وأما) عبد الله بن الزبعرى فانه أسلم عام الفتح وحسن أسلامه واعتذر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات منها فى حكاية حاله

أنى لمعتذر اليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال مقيم
فاغفر فداؤك والدى كلاهما وارحم فانك راحم مرحوم

(ومن غريب مانقله (القرطبى فى الاعلام)

(وقال آخر) إذا رمت هجوا فى فلان تصدنى خلائق قبح عنه لاتتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه بأقبح مايهجى به المرء يمدح

(وهجا بعضهم امرأة فقال)

لها جسم برغوث وساق بعوضة ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها إذا ما رأيتها وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها إذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسى ويصبح

(لبعضهم فى عظيم أنف)

لك وجه وفيه قطعة أنف كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن جعلوا نصفه على غير قبله

(وفيه أيضا) رأينا للزكى جدار أنف يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه فلولا عظمه لرأى الهلالا

(ولبعضهم فى أبخر مخنث)

قالوا فلان به نتن فقلت لهم ياقوم قد حار فكرى فى مساويه
ياقوم لاتعجبوا من نتن نكهته فالاير يدفع مافيه إلى فيه

(ولصفى الدين الحلى)

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى بسقط اللوى بين الدخول فحومل
نقعقع من برد الشتاء أضالعى لما نسجتها من جنوب وشمال

(وله أيضا) ليهنك ان لى ولدا وعبدا سواء فى المقال وفى المقام
فهذا سابق من غير سين وهذا عاقل من غير لام

(وله فى الطبيب يدعى اسحق)

مباضع اسحق الطبيب كأنها لها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لاتسل نصالها فتغمد حتى يستباح قتيل

(وله فى أحمق طويل اللسان)

لو ان قوة وجهه فى قلبه قنص الاسود وجندل الابطالا
أو كان طول لسانه بيمينه أفنى الكنوز وأنفذ الأموالا

(وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال)

انى مدحتك من فساد قريحتى وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده يدنى إلى بيت الخلا فيضوع

وقيل) لبعضهم ماتقول فى فلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما (وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانتقص سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

إن الأنصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الأول فيماذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان كثير الوزراء فاختار واحدا منهم وأخرجه معه لينظر فى ملكه فكان إذا أتى بلده يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى إلى مكة لم تخضع له أهل مكة كخضوع أهل البلاد ولم تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عماريا فقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابونى ولم يخشوا عسكرى فقال انهم عرب لايعرفون شيئا ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبى النساء فأخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفه

استب رجلان فقال أحدهما للآخر لوقطع زبك لم تبق وعلق زانية بالكوفه إلا عرفته (وقال) أبو زيد العبدي

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت ... ان الكلام طويلة الأعمار

وقال المتوكل لأبي العيناء ما بقي أحد في المجلس إلا هجاك وذمك غيري فقال

إذا رضيت عني كرام عشيرتي ... فلا زال غضبانا علي لئامها

(الباب الرابع والأربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الأول في الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا اليوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والأجر العظيم (وقال) عمر رضي الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما أحسن ما قيل في ذلك

عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى ... من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بني عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عن أقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شيء حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق مناجاة لأربابه ... وقربة تدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب واصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة الا به وقال ارسطاطاليس احسن الكلام ماصدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبي صفرة ماالسيف الصارم في يد الشجاع بأعز له من الصدق * وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل أحد إلا من الساعي ويقال لوصدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان امينا في السموات والأرض وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق ويقال الصدق بالحر أحرى وقال عتبة بن أبي سفيان إذا اجتمع في قلبك أمران لاتدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه فان الصواب إلى مخالفة الهوى وقال ارسطاطاليس والموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الخد للحق عز وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشي غيرك إلا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ماقبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضرك الصدق عندي أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدواني في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعني من لزم الصدق وعودة لسانه وقف فلا يكاد ينطق بشيء يظنه الاجاء على ظنه وخطب بلال لأخيه امرأة قرشية فقال لأهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى وأن تردونا فالله أكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فأنكحك

عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والأطباء وتكلم معهم في أمري فاجتمع عنده العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الأرض وهذا شيء من السماء لا نستطيع له ردا ثم اشتد أمره ونفرت الناس عنه ولم يزل أمره في شدة حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له أن بيني وبينك سرا وهو أن كان الملك يصدقني في حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ماشئت فقال أريد الخلوة فأخلى له المكان فلما خلا بمجلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوءا قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبي نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النية هي التي أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار فبادر وأخرج من قلبك ماهممت به من أمر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت

الصدق (وخطب) الحجاج فاطال فقال رجل الصلاة فان الوقت لاينتظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا أنه مجنون وسألوه ان يخلى سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه (الفصل الثانى من هذا الباب) فى الكذب وما جاء فيه قال الله تعالى فى الكاذبين ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله ﷺ اياكم والكذب فان الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة * وعن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به * ويقال راوى الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل أمران لاينفكان من الكذاب كثرة والمواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن فى قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهى لكل واصف كذب إلى يوم القيامة * وقال الاصمعى قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا أنى أخاف أصدق فى هذا لقلت لك لا فتعجب (وقال محمود بن أبى الجنود)

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيلة … من كان يخلق ما يقو ل فحيلتى فيه قليله

(ويقال) فلان اكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول أن منعت الكذب انشقت مرارتى وانى والله لأجد به مع ما يلحقنى من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ما ينالنى من نفعه * وقال فلسوف من عرف نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الذوب من البليـــة … بعض ما يحكى عليه
فمتى سمعت بكذب … من غيره نسبت اليه

وأضاف صيرفى قوما فأقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبدالله بن السدى قالت قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شىء حتى أنينه فى سقمه وحتى أن الصبى ليبكى فتقول له أمه اسكت وأشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل مامن مضغة أحب إلى الله تعالى من اللسان إذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض إلى الله تعالى من اللسان إذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لايكذب المرء الا من مهانته … أو فعله السوء ومن قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة … من كذبه المرء فى جد وفى لعب

(ولما نصب معاوية رضى الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل فعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لولم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لاتقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال يا أبا بحر انى لأعلم ان هذا شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له

الاحنف

المبارك ولاهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برىء مما عليه وعافاه الله تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج إلى يثرب وهى يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عماريا الذين يرى الملك برأيه ثم أن العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه أن لايخرجوا من ذلك الطعام وأن قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قالوا الوزير ماشأنهم يمتنعون عن الخروج معى وأنا محتاج اليهم وأى حكمة اقتضت نزولهم فى هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحى فسألهم الوزير عن ذلك فقالوا ايها الوزير ان فى ذلك البيت وهذه البقعة التى نحن فيها يشرفان برجل يبعث آخر الزمن يقال له محمد ووصفوه له قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء أن ندركه أو تدركه أولادنا فلما سمع

الاحنف ياهذا أمسك فان إذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد إذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصديق إذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه ✽ وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لأصحابه يقوى بذلك جأشهم فكانوا إذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاء يكذب وقال يحيى ابن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا وكان عمرو بن معد يكرب مشهورا بالكذب ✽ وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معد يكرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال ✽ قيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضى الله تعالى عنه والحمد لله وحده

(الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانسان وفيه فصول)

(الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا . وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا ✽ وقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ✽ وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ✽ وعن على رضى الله تعالى عنه لو علم الله شيئا فى العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار ✽ وقيل أن رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن أبى صالح عن أبى نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى مسلم أن رسول الله ﷺ قال من حج عن والده بعد وفاته كتب لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله ﷺ إياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ✽ وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فابطأ يوما على إخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصنى قال أوصيك بأمك حسنا قاله سبع مرات قال حسبى ثم قال ياموسى ألا إن رضاها رضاى وسخطها سخطى وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وأن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وأن علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه ✽ وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود فى ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو فى يده إلى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (وقيل) طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فمازال الولد واقفا بالشربة فى يده إلى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه ✽ وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان لى أما بلغ منها الكبر انها لا تقضى حاجتها الا وظهرى لها مطية فهل أديت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبى وبات آخر يصلى ولا يسرنى ليلته بليلتى وقيل أن محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يتكلم الامير الذى لا ينتصف منه وقيل لعلى بن الحسين رضى الله تعالى عنه إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ما تسبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرتحلوا فقالوا لانفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا فدعا بالوزير فأخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم رجاء أن يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فأقام وأمر الناس أن يبنوا أربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم وأعطى كل واحد منهم عطاء جزيلا وأمرهم أن يقيموا فى ذلك المكان إلى أن يجىء زمان النبى صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه إلى عالمهم الكبير وامره أن يدفع الكتاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن أدركه وإلا فيوصى به أولاده مثل ما أصابه وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الكتاب ✽ أما بعد فانى آمنت بك وبكتابك الذى أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شئ وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام فان أدركتك فيها ونعمت والا فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فانى من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب

(الفصل الثاني فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والأنقياء) قال رسول الله ﷺ الولد ريحانة من الجنة وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق ٭ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قلت لسيدي رسول الله ﷺ يارسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده أن الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي ينتهي اليه ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كي لا يفسق وقال عمر رضي الله تعالى عنه اني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره وقال رضي الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لاتدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات من ثلاث شم الصبيان وملاقات الاخوان والخلومع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا امير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن وقال لا تقل ياعمرو ذلك فوالله مامرض المرضى ولاندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمرو ياأمير المؤمنين انك حببتهن إلى وقيل لرجل أي ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته أمامة بنت الحكم الخزاعية ولدت غلاما فالك حكمك فلما ولدت قالت حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على الف خوان من فالوذج وأن تعتق بألف شاة ففعل لها ذلك ٭ وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف ياأمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وإن لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم سررا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية ياغلام إذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتي الف درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال ياأبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائي أنه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الامين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا أن أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هداهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا فى مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني أن ألقي عليهما أبوابا من النحو فماسألتهما شيئا الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت .

أرى قمرى أفق وفرعين أشامة يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلي أمير المؤمنين وحائزى مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت مارأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافه ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الإسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كانكم بهما وقدهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور ٭ وكان يقال بنو أمية دن خل أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ٭ وسب اعرابي والده وذكر له حقه فقال ياأبتاه أن عظيم حقك على لايبطل الصغير حقي عليك قال سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى

أحب بنيتي ووددت أني دفنت بنيتي فى قاع لحد

ونفس عليه (لله الأمر من قبل ومن بعد) كتب عنوانه إلى محمد بن عبد الله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحميرى ودفع الكتاب إلى الرجل العالم الذى أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل إلى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذى مات فيه تبع إلى اليوم الذى بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة لاتزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى جاءت إلى دار أبي أيوب وكان من أولاد العالم الذى أمر تبع بما رأيه ثم استشار الانصار عبد الرحمن بن عوف فى ايصال الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه إلى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار فدفعوا الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي ﷺ فى قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله ﷺ

ومابى

ومابى ان تهون على مخافة أن تذوق الذل بعدى ... فان زوجتها رجلا فقيرا
أراها عنده والهم عندى ... وان زوجتها رجلا غنيا ... فيلطم خدها ويسب جدى
سألت الله يأخذها قريبا ... ولو كانت أحب الناس عندى

(وقال هرون بن على بن يحيى المنجم)

ارى ابنى تشابه من على ... ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا ... فقد تسرى إلى الشبه العروق

(وقال أبو النصر مولى بنى سليم)

ونفرح بالمولود من آل برمك ... ولاسيما ان كان من ولد الفضل

(وقال الحسن بن زيد العلوى)

قالوا عقيم ولم يولد له ولد ... والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته ... عاف النساء ولم يكثر له عدد

(وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يرقص ولده ويقول)

أزهر من آل بنى عتيق ... مبارك من ولد الصديق ... ألذه كما ألذ ريقى

(وكانت أعرابية ترقص ولدها وتقول)

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد * أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

(وكان اعرابى يرقص ولده ويقول)

أحبه حب الشحيح ماله ... قد ذاق طعم الفقر ثم ناله ... اذا أراد بذله بدا له

(وكان) لاعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى ... انقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى ... لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جارية ... تغسل رأسى وتكون الغالية ... وترفع الساقط من خمارية
حتى إذا مابلغت ثمانية ... أزرتها بنقبة يمانية ... أنكحتها مروان أو معاوية
(أصهار صدق ومهور غالية)

قال فسمعها مروان فزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لايكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم والله أعلم

﴿ وما جاء فى الاولاد البلداء القليلى التوفيق ﴾

(قيل) نظر اعرابى الى ولده قبيح المنظر فقال له يا بنى انا لسعه من زينة الحياة الدنيا * قال رجل لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت لاأقسم بهذا الولد ووالد بلا ولد فقال لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد وأرسل رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون زراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يابنى وكان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يمشى مع أبيه إذا رجل يصيح بشاب ياعبدالله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال ياعم كلنا عبيد الله فأى عبدالله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال ياحمزة الا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد إذا برجل ينادى شابا يا حمزة فقال ابن حمزة الأعرابى كلنا حاميز الله فأى حمزة تعنى فقال له أبوه ليس يعنيك يامن أخمد الله به ذكر أبيه وكان لمحمد بن بشير

فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الأول قال نعم فبقى أبو ليلى متفكرا وقال فى نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فانى لست أعرفك وتوهم انه ساحر وقال فى وجهك أثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فأخرجه ودفعه إلى رسول الله ﷺ فأخذه النبى ﷺ ودفعه إلى على كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبى ﷺ كلام تبع قال مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبى نور الله ضريحه) ماذكرت هذا الخبر وان كان فيه طول الالما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بألف عام (ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبى) ما أورده مسند أبى داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ فى قول الله عز وجل إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه إلى آخر الآية إن أول من جحد الدين آدم عليه السلام لانه لما رآه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال

الشاعر بن جسيم فأرسله فى حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال :

عقله عقل طائر   وهو فى خلقه الجمل

فأجابه

مشبه بك يا أبى   ليس لى عنك منتقل.

ونهى أعرابى ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال :

أمن شربة من ماء كرم شربتها   غضبت على الآن طابت لى الخمر

سأشرب فاسخط لارضيت كلاهما   حبيب إلى قلبى عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لأبيه حين نهاه عن شرب الخمر.

﴿ وبما جاء فى صلة الرحم ﴾

قال رسول الله ﷺ صلة الرحم منها للوالدة مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أى قطعته وقال رسول الله ﷺ أعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه عن كعب الأحبار انه قال والذى فلق البحر لموسى بن عمران ان فى التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد فى عمرك وأيسر لك فى يسيرك وأصرف عنك فى عسيرك وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب جلا وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب لاعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الأكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى إلى قول شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فأبقوا عليه لرهطه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها (وسئل) عيسى عليه السلام أى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم كان أبو كبشة جد رسول الله ﷺ من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه قال نسبى الإسلام الذى من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر، ومن كلام على كرم الله وجهه أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال إذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الأقارب اعظام الاصغر الأكبر وحنو الاكبر على الأصغر قال رسول الله ﷺ حق كبيرة الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

وإذا رزقت من النوافل ثروة   فامنح عشيرتك الادنى فضلها

واعلم بأنك لم تسود فيهم   حتى ترى دمث الخلائق سهلها

﴿ الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم واحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والألوان والثياب وما أشبه ذلك ﴾

يارب زد فى عمره قال لا إلا أن تزيده من عمرك قال وما عمرى قال ألف سنة قال آدم فقد وهبته أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقى من عمرى أربعون سنة فقيل له قد وهبتها لابنك داود قال ما وهبت لأحد شيئاً فأخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة ٭ وفى رواية ان الله جل جلاله أتم لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة أخرجه الترمذى بمعناه وصححه وفيه فقال عليه الصلاة والسلام نسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم (ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الأعلام للقرطبى) ان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات على قافية بديعة أعجبت النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

وأنت لما ولدت أشرقت الأر   ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النو   ر وسبل الرشاد نخترق

فقال يا عم لكل شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة فى عقبك إلى يوم القيامة (ومن غرائب التفسير ما نقلته من الأعلام) ان فى قوله

(الفصل الأول فى الحسن ومحاسن الأخلاق) وإلى سيدنا محمد رسول الله ﷺ ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد ﷺ ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح الخد أقنى الأنف كأن عنقه أبريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعره يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كانه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كاون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعد وأحسنهم وأكملهم من قريب كانما منطقة خرزات نظم يتحدرن قال أنس رضى عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال:

وأحسن منك لم تر قط عينى ... واجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب ... كانك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال صلى الله عليه وسلم ماحسن الله خلق عبد وخلقه إلا استحيا أن يطعم لحمه النار وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) أنه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة إذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفىء مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين إذا حلا تشقق والورد يتشقق إذا مسه الندى وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهى فى مرآة مع إنسان إلا رحمته من حسن وجهى إلا الوليد فكنت إذا نظرت إلى وجهى مع وجهه رحمت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر:

ولو أنها فى عهد يوسف قطعت ... قلوب رجال لا أكف نساء

وقال كثير:

ولو أن عزة حاكمت شمس الضحى ... فى الحسن عند موفق لقضى لها

(وما جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق إلى القدم)

(ما قيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليتحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبي:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله أيضا:

لبسن الوشى لا متجملات ... ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن ... ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وقال الصفدى:

لولا شفاعة شعره فى صبه ... ما كان زار ولا أزال سقاما

العرب كانت اذا وجدت شجرة منفرده فى فلاة من الأرض لاشجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه ﷺ ووجدك ضالا فهدى أى وجدتك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق الى (قلت) قد تقدم الكلام فى سعادة العباس ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وما نال الاسلام من العز وقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الخلافة فى عقبه إلى يوم القيامة وتقدم ذكر شقوة عمه أبى طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى تقدم قول مشيرا إلى قريش فى خطابه إلى النبى صلى الله عليه وسلم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى أوسد فى التراب دفينا

(قال السهيلى) نور الله ضريحه فى الروض الانف هذا من باب النظر فى حكمة الله (ونقل فى) الروض الأنف أيضا عن هشام بن السائب أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المتقدم الشجاع والواسع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا أحرزتموه

لكن تنازل فى الشفاعة عنده   فغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ : تنى غصبا ومد عليه فرعا   كحظى حين أطلب منه وصلا
وبليـله على الأرداف منه   فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر : أرخى ثلاثا يوم حمامه   ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذؤاباته   واسهرى فى ذى الليالى الطوال

وقال آخر : بدت ثريا قرطها وشعرها   متصل بكعبها كما ترى
ياعجبا لشعرها لما ابتدى   من الثريا فانتهى إلى الثرى

وقال ابن المعتز : توارت عن المواشى بليل ذوائب   لها من محيا واضح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه   وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

(ومما قيل فى الاصداغ)

قال ابن المعتز : ريم يتيه بحسن صورته   عبث النعاس بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت   لما دنت من ورد جنته

وقال العادلى : وعهدى بالعقارب حين تشتو   تخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهـذى   عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر : وما ضره نار بخديه تلتوى   وأمواج رد فيه بخصريه تلعب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوى   وأمواج رد فيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وإنما   لواحظه تسقى وقلبى يشرب

وقال آخر : حل القباولوى صدغيه فانعقدا   واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثناياه وريقته   هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يامن يلوم على هواه جهالة   انظر إلى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها   مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب)

صدوه والهوى معتكا استتارى   وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن   عليك لشقوتى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارا فيك الا   لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر) : ومعذر رقت حواشى خده   فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضة السواد وإنما   نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر : ومهفهف راقت نضارة وجهه   والعين تنظر منه أحسن منظر
أصلى بناد الخد عنبر خاله   فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر : أصبحت سلطان القلوب ملاحة   وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة   بالنصر يقدمها اللواء الأخضر

وقال آخر : ياذا الذى خط العذار بخـده   خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندى أن لحظك صارم   حتى حملت بعارضيك حمائلا

وقال آخر : من لا أرى كعبه الحسن التى حرست   بالنمل حيث مقام النحل فى فمه

لا شرفا إلا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيهما مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منسأة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر فى الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها دونكم يامعشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد فلينظر

فلينظر النمل أضحى فوق عارضه ... يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدماميني)

تحدث ليل عارضه بأنى ... سألوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى ... حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر) وقالوا تسلى فقد شانه ... عذار أراحك من صده
فقلت وهممتم ولكننى ... خلعت العذار على خده

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة ... ترى لعيون الناس فيها تواحما
حمى ورد خديه حماة عذاره ... فياحسن ريحان العذار حاميا

(وقال ابن نباتة) وبمهجتى رشأ يميس قوامه ... فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد ... نعست لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلى) لحديث نبت العارضين حلاوة ... وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا ... فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر) أصبحت مكسورا بسهم لحاظه ... ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا ... فخشيت يقتلنى وذا من شأنه

(وقال آخر) ياصاح قد حضر المدام ومنيتى ... وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى ... واجل حديثك كله فى الكاس

(ابن نباتة) وضعت سلاح الصبر عنه فماله ... يغازل بالالحاظ من لايغازله
وسال عذار فوق خديه ... على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل فى ذم العذار) قال الشاعر

غدا لما التحى ليلا بهيما ... وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه ... لمن يقرا وجاءكم النذير

(آخر فى ذمه) قلت لأصحابى وقد مربى ... منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودى قفوا ... ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر) ما زال ينتف ريحانا بعارضه ... حتى استطال عليه صار يحلقه
كانما طورسينا فوق عارضه ... طول الزمان فموسى لا يفارقه

(وقال آخر) ما زال يحلف لى بكل ألية ... أن لا يزال مدى الزمان مصاحبى
لما جنى نزل العذار بخده ... فتعجبوا السواد دوجةالكاذب

(ابن المعتز) يارب ان لم يكن فى وصله طمع ... ولم يكن من طول جفوته
فاشف السقام الذى فى لحظ مقلته ... واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل فى الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة ... ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة ... ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

(وقال آخر) غزانى الهوى فى جيشه وجنوده ... وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة أجنادها أعين المها ... وميمنة تقضى بزج الحواجب

ولا يأخذ أحد بهديه الاسعد ولو كان لمنفسى مدة ولأجلى تأخير لكفيت عنه المزاهر ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك (ومن شهى المجتنى من ثمرات الأوراق) ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكى وتقول

وهويته من قبل قطع تمائمى ... متناشيا مثل القضيب الناعم
فكان نور البدر سنة وجهه ... يمشى ويصعد من ذوابه هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها أحرة أنت أم أمة فقالت بل أمه ياصاحب رسول الله ﷺ فقال من هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عنى فقال لست بمنصرف من مكانى حتى تعلمينى وتقولى فقالت

وان الذى عمل الفراق بقلبها ... فبكت بحب محمد بن القاسم

فسار أبو بكر رضى الله عنه إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه وبعث بها إلى على ابن القاسم بن جعفر بن أبى طالب عفى عنه (ومن مناقب الإمام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى فتح بيت المقدس) ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فأقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم فى المسير إلى قيسارية أو إلى بيت المقدس

فقال له معاذ بن جبل أيها الأمير اكتب إلى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله قال له أصبت الرأى يامعاذ ثم كتب إلى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى فسار حتى وصل المدينة فسلم الكتاب إلى عمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على رضى الله تعالى عنه ياأمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس فاذافتح الله بيت المقدس صرف وجهه إلى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى ﷺ وصدقت أنت ياأباالحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا إله إلا هو وأصلى وأسلم على نبيه وقد وصلنى كتابك تستشيرنى إلى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله ﷺ بالمسير إلى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب إلى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير إلى بيت المقدس وتقدمه الجيش إلى بيت المقدس وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم

(وقال آخر) أيا قمر تبسم عن اقاح ... ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا ... صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعى ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان اقصده النعاس تلاعبت ... فى جفنه ســـنة وليس بنائم

(وقال ابن المعتز) عليم بما تحت العيون من الهوى ... سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح احشائى بعين مريضة ... كما لان متن السيف والحد قاطع

(وقال الأخطل) ولا تلم بدار بنى كليب ... ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات ... يكدن يكدن بالحق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن)

وبيض بألفاظ العيون كأنما ... هززن ســيوفا واستللن خناجرا
تصدين لى يوما بمنعوج اللوى ... فغادرن قلبى بالتصبر غادرا
ســفرن بدوراً والتقبن أهلة ... ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر) ومريض جفن ليس تصرف طرفه ... نحو امرىء الا رماه بحتفه
قد قلت إذا أبصرته متمايلا ... والردف يجذب خصره من خلفه
يامن سلم خصره من ردفه ... سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هتان) أخو دنف رمته فاقصدته ... سها من جفونك لاتطيش
فواتك لا يقال سوى احورار ... بهن ولا سوى الاهداب ريش
أصبن فزاد مهجته فأضحى ... سقيما لا يموت ولا يعيش
كشيبا ان ترحل عنه جيش ... من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر) وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى ... فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة ... ولو أنصفوا قالوا به أعين الإنس

(وقال عز الدين الموصلى) لها عين لهاغزو وغزل ... مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى ... فيالك مقـــلة غزلت وحاكت

(وقال برهان الدين القيراطى)

شبه السيف والسنان بعينى ... من لقتلى بين الانام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا ... حدثنا دون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا) بأبى أهيف المعاطف لدن ... حسد الأسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما ... كلمتنى ســـيوفهن بحده

(قال بدر الدين حبيب)

عيناه قد شهدت بأنى مخطىء ... وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد فى قتلتى ... فالخط زور والشهود سكارى

(وقال جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبى بملالة ... منى وأن وداده تكليف
لكننى لم أنا عنه لأنه ... خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(وقال

فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب فى أهل بيت القدس فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم ماهذه الضجة التى أسمع قالوا ياأبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال أنا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه ان الذى يفتح الارض هو الرجل الاحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم فلا سبيل إلى قتاله ولا بد أن أشرف عليه وأنظر إلى صفته فان كان هو أجبته إلى ما يريدوان كان غيره فلا بأس عليكم ثم وثب قائما والقسس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا إلى السور إلى أن ورد أبو عبيدة رضى الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يامعاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم فأمسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربى اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلادنا هذه وجميع الأرض صفته عندنا فان كانت فى أميركم لم نقاتلكم بل فنسلم إليكم وإن لم تكن هذه صفته فلا نسلم إليكم أبدا فاعلم المسلمون أباعبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة

(وقال الشيخ عز الدين الموصلى)

يامقلة الحب مهلا ٭ فقد اخذت بثارك ٭ وأنت ياوجنتيه ٭ لاتحرقينى بنارك

(وقال ابن الصائغ) لمثلى من لواحظها سهام ٭ لها فى القلب فتك أى فتك
إذا رامت تشك به فؤادا ٭ يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدى)

ياعاذلى على عين محجبة ٭ خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها ٭ لاترم نفسك بين السهم والهدف

(وقال آخر) بسهم أجفانه رمانى ٭ فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم ٭ لانه قاتلى بعينه

(وقال آخر) سهام الجفن كم قتلت لنفس ٭ مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى ٭ وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل فى الخال) للصلاح الصفدى

بروح خده المحمر أضحى ٭ عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما ٭ فنقطه بدينار وحبه

(ولابن الصائغ) بروحى أفدى خاله فوق خده ٭ ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده ٭ وأسكن كل فى ذلك الخال

(للشيخ جمال الدين بن نباتة)

لله خال خد الحبيب له ٭ فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به ٭ وكان عهدى بان الخال لايرث

(وقال آخر) ياسالبا قمر السماء جماله ٭ ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارتمى بشرارة ٭ علقت بخدك فانطفت فى مائه

(للشيخ تقى الدين بن حجة)

قلت للخال إذ بدا ٭ فى نقا جيده السعيد ٭ فزت ياعبد قال لى ٭ أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن أبيك) فى الجانب الايمن من خدها ٭ نقطة مسك اشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها ٭ وجدته من حسنها عمها

(وقال الحسين بن الضحاك)

ياصائد الطير كذا ٭ باللحظ تضنى وتسبى ٭ نصبت نقطة خال ٭ فصدت طائر لبى

(ومما قيل فى الخدود) ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا ٭ من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض ٭ وبخدى للدموع غدير

(وقال آخر) ورد الخدود ونرجس اللحظات ٭ وتصافح الشفتين فى الخلوات
شىء أسر به وأعلم أنه ٭ وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصراف

بروحى من ولى قولى بمهجتى ٭ وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه ٭ وحتام يحمى ثغره وهو بارد

اليهم إلى أن حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فأقاموا عليها أربعة أشهر فى أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب ومانزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطرك وقالوا له قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذى يريدون فان كان أمرا صعبا فتحنا الأبواب وخرجنا إليهم فاما نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا فأجابهم البطرك إلى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربى وقال يامعشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فقام أبو عبيدة يمشى ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف بازائهم قال ماالذى تريدون هذا أمير العرب فقال البطرك انكم أقم علينا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلدتنا أبدا وإنما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال أبو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البطرك لانخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر الخطاب بن

(وقال آخر) أنفقت كنزا مدامعى فى ثغره — وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة — فقضى وراح تغزلى فى البارد
(وقال آخر) رأى ثغر من أهوى عذولى فقال لى — ولم يدر أن اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه — وأحسن ماكان الرباط على ثغر
(وقال ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى — ثلاث شامات غدت فى المنام
لاتعجبوا إن كثرت حوله — فالمنهل العذب كثير الزحام
(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة قال ذو الرمة)
أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة — عروب كإيماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وماذقت طعمه — زجاجة خمر طاب فيها مدامها
(وقال شهاب الدين الكردى)
ذكرت ريح حبيبى بشرب راح — تعطر وليس ذا بعجيب فالشىء بالشىء يذكر
(غيره) رشفت ريقك حلوا ولم يكن لى صبر — وسوف أحظى بوصل فأول الغيث قطر
(الصلاح الصفدى) نقل الأراك بان ثغر — من قهوة مزجت بماء الكوثرا
قد صح مانقل الاراك لأنه — يرويه نصا عن صحاح الجوهرى
(وقال آخر) ثلاث تجمعن فى ثغرها — ملاح أدلتها واضحة
فان قيل ما هى لى قل أقل — هى الطعم واللون والرائحة
(وقال آخر) يارب ممتنع الوصال محجب — بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه على وكاسه — فسكرت فى الحالين من خرطومه
(وقال آخر) أريقا من رضا بك أم — رحيقا رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن — جهلت بأن فى الأسماء ريقا
(ومما قيل فى حسن الحديث) قال البحترى
ولما التقينا والنقا موعد لنا — تعجب رائى الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها — ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
(وقال سلم الخاسر) ظللنا فبتنا عند أم محمد — بيوم ولم نشرب شرابا ولاخمرا
إذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها — وان نطقت هاجت لألبابنا سكرا
(وقال ابن الرومى) يمسى ويصبح معرضا فكأنه — ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له — در يساقطه إلى لسانه
(وما أحسن هذه الأبيات) وهى من طارف الشعر ووافره ونادره وجيد الكلام وبارع الوصف
وكل حديث الناس الاحديثها — رجيع وفيها حدثتك الطرائف — جرحن بأعناق الظباء وأعين
حاذروا وارتجت بهن الروادف — رجحن بأرداف ثقال وأسوق — جزال وأعضاء عليها المطارف
(ومما قيل فى رقة البشرة) قال ابن المعتز
نضت عنها القميص لصب ماء — فورد خدها فرط الحياء — وقابلت الهواء وقد تعرت
بمعتدل أرق من الهواء — ومدت راحة كالماء منها — إلى ماء عتيد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت — على عجل إلى أخذ الرداء — رأت شخص الرقيب على تدان
فاسبلت الظلام على الضياء — فغاب الصبح منها تحت ليل — وظل الماء يقطر فوق ماء

(وقال

(وقال آخر) تغير عن مودته وحالا وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجرى فليت الوصل كان له دلالا ترى من فوق حقويه قضيبا
اذ ما حركته خطاه مالا إذا كلمته أثرت فيه وان حركته فالخز سالا
(وقال بشار) وما ظفرت عينى عداة لقيتها بشىء سوى أطرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة يرى وجهه فى وجهها كل ناظر
(ومنه أخذ أبو نواس قوله)
نظرت إلى وجهه نظرة فأبصرت وجهى فى وجهه
(وقال آخر) توهمه قلبى فأصبح خده وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى جسمه فجرحته ولم أر جسما قط تجرحه الفكر
(وقال آخر) سقى الله روضا قد تبدى لناظر به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده وكل اناء بالذى فيه ينضح
(وقال آخر) ولهيف قده كسى احرار وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدى لحمرة خده ما بان فيه
(ومما قيل فى التقبيل) لمظفر الأعمى
قبلته فتلظى جمر وجنته وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ولا عجب لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق
(وقال آخر) سألته فى ثغره قبلة فقال ثغرى لم يجز لثمه
فهاكها فى الخد واقنع بها ما قارب الشىء له حكمه
(وقال صاحب حماة) قال الذى تيمنى قولوا لمن خبلته يروم منى قبلة لو مات ماقبلته
(الشيخ عز الدين الموصلى) كالزرد المنظوم أصداغه وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته فى الخد تقبيلا يفك الزرد
(وقال آخر) رأيت الهلال على وجهه فلم أدر أيهما أنور سوى أن ذاك بعيد المزار
وهذا قريب لمن ينظر وذاك يغيب وذا حاضر وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا ونفع الحبيب لنا أكثر
(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل مد خديه فوق عذاره عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده بتصاعد الزفرات من أنفاسى
(وقال آخر).
قبلت رجل حبيبى فازور واحمر خدا وقال تلثم رجلى لقد تنازلت جدا
فقلت ماجئت بدعا ولا تجاوزت حدا رجل سعت بك نحوى حقوقها لا تؤدى
(ومما قيل فى الوجه الحسن) ابن نباته.
إنسية فى مثال الجن تحسبها شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها فالوجه للشمس والعينان للريم
(عبد الله بن أبى خبص) تصد من غير علة بالعز أضحت مدله كأنها حين تدنو
شمس عليها مظله وأن أضاءت بليل تفوق نور الأهله

البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه وصفته عندنا قال أبو عبيدة نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الأمر على ما ذكرتم فاحقن الدماء وابعث إلى صاحبك يأتى فاذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب أبو عبيدة إلى الإمام عمر رضى الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب إلى عمر رضى الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب الينا أمين الأمة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين أن الله قد أذل الروم فان أنت أقمت ولم تسر اليهم علموا أنك بأمرهم مستخف فلا يلبثون إلا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه نعم عندى غير هذا الرأى وأنا أبديه إليك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا أبا الحسن قال أن القوم قد سألوك وفى سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقد أصابهم جهد عظيم

(وقال آخر) قسم بالله وآياته ... ما نظرت عيني إلى مثله
ولا بدا وجهه طالعا ... الا سألت الله من فضله

(وقال آخر) أقيمي مكان البدر ان أفل البدر ... وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها ... وليس لها منك التبسم والثغر

(عمر بن أبي ربيعة) ذات حسن ان تغب شمس الضحى ... فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها ... وهواهم في سوى هذا اختلف

(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده إلى المدح فقال)
لو أن اجماعنا في فضل سودده ... في الدين لم يختلف في الامة اثنان

(وقال آخر) يا مفردا في الحسن والشكل ... من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نور ... والشمس من نورك تستملي

(وقال آخر) ففي أربع مني حلت منك أربع ... فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في في ... أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندي قال هذا تقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال
وفي خمسة مني حلت منك خمسة ... فريقك منها في فمي طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي ... ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

(ابن نباتة) ايها العاذل الغبي تأمل ... من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين (محمود المخزومي) ... ان في الليل والنهار عجائب
رأيت في الشمس المنيرة غضوة ... فكنت على عيني أبهى من الشمس
لأنك تزهوان بدا الليل بهجة ... وشمس الضحى ليست تضيء إذا تمسى

(وقال آخر).
إذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها ... وتكفيك البدر أن غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها ... ووالله مامن ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الرومي.
وقفت وقفة بباب الطاق ... ظبية من مخدرات العراق ... بنت سبع وأربع وثلاث
أسرت قلب صبها المشتاق ... قلت من أنت يا غزال فقالت ... أنا من لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بنان ... قد صبغناه من دم العشاق

(وقال الراضي بالله)
قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها ... في خدها وقد اعتلقت خضابها
فظننت أن بنانها من فضة ... قطعت بنور بنفسج عنابها

(وقال آخر) لما اعتنقنا للوداع وأعربت ... عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر ... وجمعن بين بنفسج وشقائق

(وقال آخر) ولما تلاقينا رأيت بنانها ... مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا ... يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشى لاعج الجوى ... مقالة من بالود لم يتبرم

البرد والقتال وطول المقام وإن سرت إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك في مسيرك الأجر العظيم ولست آمن منهم انهم إذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للسلمين بذلك الضرر والصواب أن تسير إليهم ففرح عمر بمشورة علي وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وعلي أوحسن النظر للسلمين جزاهما الله خيرا ولست آخذ الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر أمر الناس أن يأخذوا الاهبة للسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر عليه غراران في احداهما سويق وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا إلى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم إلى أن حضرت صلاة الظهر أذن بلال في ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال ان يقطع الاذان فلما فرغ

بكيت دما يوم النوى فمسحته   بكفى فاحمرت بنانى من دمى
(وقال آخر) دنوت عشية التوديع منى   ولى عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن اكراما جفونى   ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل فى النحور) قال دعبل

أتاح لك الهوى بياضا حسانا   تباهى بالعيون وبالنجوم
نظرت إلى النحور فكدت تقضى   فكيف إذا نظرت إلى الخصور

(ومما قيل فى نعت النهود) قال العباس بن الاحنف

والله لو أن القلوب كقلبها   ما رق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب دانه   تفاح صدر ما حوته ناهد
(وقال آخر) ومحبوبة عند الوداع رأيتها   تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكى حذار البين منها بدمعة   تسيل على الخدين فى حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها   بقية طل فوق ورد ممعك
وقد سفرت عن غرة بابلية   وصدر به نهد بحق مفكك
(عمرو بن كلثوم) تراك إذا دخلت على خلاء   قد امتدت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا   حصينا من أكف اللامسينا
(وقال آخر) بصدرها كوكبا در كأنهما   ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها   فالناس فى الحل والركنان فى الحرم
(وقال آخر) صدور فوقهن حقاق عاج   ودر زانه حسن اتساق
تقول للناظرون إذ رأوه   أهذا الحلى من هذى الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدى   جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعد لهن عيب   سوى منع المحب من العناق
(وقال آخر) لقد فتكت عيون الغيد فينا   ببيض مرهفات وهى سود
وتطعننا القدود إذا التقينا   بسمر من أسنتها النهود

(ومما قيل فى الأرداف والخصور) قال ابن الرومى

وشربت كأس مدامة من كفها   مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها   عجبا ولكنى بكيت لخصرها
(الطغيغا المحاربى) ردفه زاد فى الثقالة حتى   أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا   فضعيفان يغلبان قويا
(وقال آخر) يا خصره كم جفاه * تبدى وأنت نحيل * يا ردفه ملت عنى * ما أنت الا بخيل
(القيراطى) بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى * فقلت يا بدر هذا * حيا خيال الحينى
(وقال آخر) أسائلها أين الوشاح وقد سرت   معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نحلته   الى معصمى ما للقلاق فى خصرى
(وقال آخر) بيض وسمر مقلتاه وقده   بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الاصم فؤاده   وأرق من شكوى المتيم خصره
(وقال آخر) رخيمات المقال مدللات   جواعل فى البرى قضبا جدالا
جمعن فخامة وخلوص جيد   وقدا بعد ذلك واعتدالا

الاذان صلى عمر وجلس ثم أمرهم بالركوب فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشر رقعة بعضها من أدم قال المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جواد ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به إلى أن أجابهم إلى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير احسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على كتفيه منديلا من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلونى عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم أنه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ما شأن العرب فأشرف رجل من المنتصر فقال يا معاشر العرب ما قضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المنتصر وأعلم البطرك فأطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر

وقال ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فاعلم البطرك بذلك فخرج من قامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم هلا السور وأشرف على أبي عبيدة وقال ماهذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو مني فانا نعرفه بصفاته ونعته وأفردوه من بينكم حتى نراه فرجع أبو عبيدة إلى عمر فأخبره بما قال البطرق فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله ﷺ نخشى عليك من الانفراد بلاد عدة فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه الى أن أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين فد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذى صفته ونعته فى كتبنا ثم قال يا أهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا الى

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن أبي ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم ... ورنوا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة ... فكانما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه ... أتزعم أن اللين عنـــد ما ثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه ... ليقضى على من مال منا إلى الهوى

وقيل) ليس لاحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الأوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ مالذى الرمة حتى كانه حضرى من أهل المدن لا من أهل الوبر (وقال) القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبي قم ومل يا * معذبى ... كميلة خود غير السكر حالهـــا
ولا تله عن شيء إذا ما حكيتهـا ... فقام كغصن البان لينا ومالها

(وقال آخر)

ومحكم أعطافه * فى قتل ضب ما غوى * فاعجب لعادل قده * فى نفس يحكم بالهوى

(وقال آخر) ومهفهف عنى يميل ولم يمل ... يوما الى فضجت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا ... فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى السارق) قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامـــدا ... عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لاتعجبوا ان قام فيه قيامتى ... ان القيامة يوم كشف الساق

(وقال آخر) جاءت بساق أبيض أملس ... كاؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى ... وقامت الحرب على ساقها

(وقال ابن منقذ) بدر ولكنه قريب ... ظبي لكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا ... فما لأعطافه تميس

(ومما قيل فى مشى النساء) قال بعضهم

يهززن للمشى اطرافا مخضبة ... هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز ردينى تداوله ... أيدى الرجال فزاد المتن فى اللين

(وقال آخر)

يمشين مشى قطا البطاح تأودا ... قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة ... يقلعن أرجلهن من أوحال

(ومما قيل فى العناق وطيبه) لابن المعتز

ماأقصر الليل على الراقـــد * وأهون السقم على العائد * كأنى عانقت ريحانة تنفست فى ليلها البارد * فلو ترانا فى قيص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد

(وقال آخر) وموشح نازعت فصل وشاحه ... وأعرته من ساعد وشاحا
بات الغيور يشق جلده وجهه ... وأمال أعطافا على ملاحا

(وقال ابن المعدل)

أقول وجنح الدجى مسبل ... والليل فى كل فج يد

ونحن ضجيعان فى مسجد فلله ما ضمنا المسجد أيا غدان كنت لى محسنا
فلان تدن من ليلتى يا غد ويا ليلة الوصل لا تنقصرى كما ليلة الهجر لا تنفد
وقال آخر: أوليل رقيق الطرتين تظلت كواكبه من بدره المتألق
لهونا بغزلان الصريمة تحته تميت الهوى ما بين صدر ومرفق
وقال ابن المعتز: وكم عناق وكم قبل مختلسات حذار مرتقب
نقل العصافير وهى خائفة من النواطير يانع الرطب

(وقال ديك الجن)

ومعدولة مهما أمالت أزارها فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر السارى شقيق وانها لتطلع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يا زين كل مليحة وأنت الهوى أدعى له فأجيب

(وقال على بن الجهم)

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعاً لو تراق زجاجة من الخمر فيما بيننا لم تشرب
وقال آخرين: ياليل دم لى لا أريد براحا حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نور وحسبى ريقه خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بمضحكه إذا استضحكته مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق النجاد بساعد وجعلت كفى للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم فخلنا متعانقين فلا ندير براحا
وقال آخر: ولم أنس ضمى للحبيب على رضا ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول مارأيت سمينا عاقلا إلا محمد بن الحسن قال الشافعى:

لا أعشق الأبيض المنفوخ من سمن لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الألوان والثياب)

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان ﷺ أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم:

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم لون الغوالى ولون المسك والعود
إنى امرؤ ليس بشأن البيض مرتفعا عندى ولو خلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان)

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم فانى بسيط الكف والعرض ازهر
ان سواد اللون ليس بضائرى إذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

قتب بغيره ثم أقبل عليهم وقال ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم إلى البلد ولم يغلقوا الباب رجيم عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل إليها وأقام بها إلى يوم الجمعة وخطبها محرابا وهو موضع مسجد وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام فى بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الأحبار على يده وارتحل معه إلى المدينة لزيارة قبر النبى ﷺ وذلك بعد أن كتب الإمام عمر لأهل بيت المقدس وأقرهم فى بلدهم على عهدهم وأداء الجزية (ومن شهى المجتنى من ثمرات الأوراق) ما نقله أبو الحسن على بن عبد المحسن التنوخى فى المستجاد أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بات على فراش النبى ﷺ ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخرة فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عنده

(دخل) إبراهيم بن المهدي على المأمون فقال إنك لتمم الخليفة الأسود فقال إبراهيم نعم فتمثل المأمون بيت نصيب فقال ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما * أو أسود اللون اني أبيض الخلق ثم قال ياعم أخرجنا الهزل إلى الجد فأنشد إبراهيم

ليس يزرى السود بالرجل الشهم ولا الفتى إلا ريب الأديب
إن يكن للسواد فيك نصيب فبياض الأخلاق منك نصيبي

وقال آخر: لام العواذل في سوداء فاحمة كانها في سواد القلب تمثال
وهام في الخال أقوام وماعموا انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدني كيف رغبتم في السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها (وقال آخر)

ويكون الخال في خد قبيح فيكسوه الملاحة الجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من يراها كلها في الخد خالا

وقال آخر: فاستحسنوا الخال في خد فقلت لهم إني عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدني ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى فاني معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر)

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

وقال آخر: أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعده
لاشك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحده

(ومما قيل في الصفرة) قال الشاعر

أصفراء كان الهجر منك مزاحا ليالي كان الود منك مباحا
كأن نساء الحي مادمت فيهم قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر: قالوا به صفرة شانت محاسنه فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة في ثار من قتلت فلست تلقاه إلا خائفا وجلا

(ومما قيل في طول اللحية) قيل إن اللحية الطويلة عش البراغيث * ونظر يزيد الشيباني إلى رجل ذي لحية عظيمة تلتف على صدره وإذاهو خاضب فقال لها باهذا انك من لحيتك في مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن في كل جمعة وآخر للحناء يبتديان
ولولا نوال من يزيد بن مزيد لأصبح في حافاتها الحنان

(وقال إسحق بن خلف في قصير طويل اللحية)

ماشيت داود فاستضحكت من عجب كأنه والد يمشي بمولود
ماطول داود إلا طول لحيته يظن داود فيها غير موجود

(وقال ابن المقفع) تأملت أسواق العراق فلم أجد دكاكينهم إلا عليها المواليا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم كما نفضت عجف البغال المخاليا

(ومما جاء في عظم الخلقة والطول والقصر)

(قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثر أسنانها فوزن السن

الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (قال أبو الحسن المدائني) خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنهم حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فأناخوا إليها وليس لها الاشويهة فقالت احلبوها فاشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيء لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش تريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون إليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا يلتقطان البعر ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث إليها غلامه * منها

منها فكان وزنها أربعة أرطال فأتى بها إلى ابن مبارك فجعل يلقيها ويتعجب من عظمها ثم قال

إذا ما تذكرت أجسامهم تصاغرت النفس حتى تهون

(وأراد) ملك الروم أن يباهي أهل الإسلام فبعث إلى معاوية رجلين أحدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس * سراويل قيس والوفود شهود * وكى لايقولوا خان قيس وهذه سراويل عاد أحرزتها ثمود * وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس إلا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وقيل) كان سلمة بن مرة الناموسى أسر امرأ القيس بن النعمان اللخمى الملك وكان الناموسى قصيرا مقتحما واللخمى طويلا جسيما فقالت بنت امرىء القيس ياهذا القصير أطلق أبى فسمعها سلمة بن مرة فقال :

لقد زعمت امرىء القيس إننى قصير وقد أعيا أباها قصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه وعانقته والخيل تدمى نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها تدل على الحق والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الأذن يدل على جودة السمع والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل فى القبح والدمامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه إلا رجلا وحش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب إلى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدمه فدعه يذهب إلى نار الله وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلى بمجلس لبنى بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلنى قط إلا إلا امرأة مرت بى إلى صائغ فقالت له اعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأتت بك إلى لأصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه وهو العمى فى عين كل ملاحظ
ولو أن مرآة جلت تمثاله ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعى رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه أترضين أن تكونى تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلنى ثوابه وأسأت فيما بينى وبين ربى فجعله عذابى أفلا أرضى بما رضى الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال ياحبيبى ماأراك أن تبخل بهذا الوجه على جهنم ، وقال بعضهم لرجل طلع لى دمل فى اقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شىء وخرج رجل قبيح الوجه إلى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا فيا شقاء بلدة * أحسن من فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت أنى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لاشك فى احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال) الشاعر فى رجل كبير الانف

فدعا بها فقال يا أمة الله أتعرفيننى قالت لا قال أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا قالت بابى أنت وأمى ثم اشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار وبعث بها من غلامه إلى الحسين رضى الله عنهما فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه إلى عبدالله بن جعفر رضى الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفى شاة وألفى دينار فقال لها لو بدأت بى لاتبعتهما فى العطاء اعطوها عطيتها فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة (ومما أنه جرى بين الحسين بن على بن أبى طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد إلى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن على بن أبى طالب إلى أخيه الحسين ابن على بن أبى طالب أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك ونعليك وسر إلى فترضنى وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام فلما قرأ الحسين رضى الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه (وقال أبو الفرج الاصفهانى

لك وجه وفيه قطعة أنف كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن جعلوا نصبه على غير قبله

(وقال آخر) لك أنف أنوف أنفت منه الأنوف
أنت فى القدس تصلى وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس
قلت لعباس أخينا يا ثقيل الثقلاء أنت فى الصيف سموم
وجليد فى الشتاء أنت فى الأرض ثقيل وثقيل فى السماء

(ومما جاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها)

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله ﷺ ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال ﷺ تعمموا تزدادوا جمالا وقال ﷺ العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله ﷺ وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم إلى النبى ﷺ جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروءة الطاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

(ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس)
رأيتك فى السواد فقلت بدرا بدا فى ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر إلى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينه وهما هذان البيتان
قل للمليحة فى الخمار الاسود ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة إزاره حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة إلا اشترت لها خمارا اسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى إلى تعبده وعمد إلى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر
وشمس من قضيب فى كثيب تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت بوجنتها فهاجت جل نارى

(وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى)
فى ثوبها الخمرى قد أقبلت بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها لا تنكروا سكرى من الخمر

وقال الصنوبرى فى لابسة أخضر
وجارية أدبتها الشطاره ترى الشمس من حسنها مستعاره بدت فى قميص لها أخضر
كما ستر الورق الجلناره فقلت لها ما اسم هذا اللباس فأبدت جوابا لطيف العبارة

حدثنى أحمد بن محمد بن الجعدى ومحمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن زكريا العلائى قال حدثنا ابن عائشة قال حج هشام بن عبد الملك فى خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس فأقبل على بن الحسين رضى الله عنهما وهو احسن الناس وجها وانظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم إجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الأمير قال أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا أنا أعرفه يا شامى قال من هو قال

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا التقى النقى الطاهر العلم إذا رأته قريش قال قائلهم
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم الاولية هذا او له نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا شققنا

شققنا مرائر قوم به ٭ فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه إياك أن تلبس ما يديم الملك نظره اليك به واعلم أن الوشى لا يلبسه إلا الأحمق أو ملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين من الديباج لتوسط بقائه ٭ وقال بعض الأمراء لحاجبه أدخل على عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والجديد فى البر وقيل كان لأبرويز عمامة طولها خمسون ذراعا إذا اتسخت فيلقاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل بجوهر وتكة من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقى والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الوردية تحرك السرور وإذا قرب اللون الأحمر الى اللون الأصفر تحركت القوة العشقية وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية وإذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها ٭ وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شىء راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الأعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها

(وما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه) قال الاصمعى رأيت أعرابيا فاستنشدته فأنشدنى أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكنت سكتة ثم قال

أأخى ان الحادثا ت عركتنى عرك الاديم ٭ لا تنكرن أن قد رأيـت
أخاك فى طمرى عديم ٭ ان كان أثوابى رثا ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعى رحمه الله تعالى ٭

على ثياب لو تقاس جميعها ٭ بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو تقاس ببعضها ٭ نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف أخلاق غمده ٭ إذا كان عضبا حيث وجهه برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فأنشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه ٭ وفى أثوابه أسد هصور ٭ ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير ٭ لقد عظم البعير بغير لب ٭ فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بغير وجه ٭ ويحبسه على الخسف الجرير ٭ وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا عار عليه ولا نكير ٭ فان أك فى شراركم قليلا ٭ فانى فى خياركم كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

أن العيون رمتك إذ فاجأتها ٭ وعليك من دون الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهيت ٭ واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفى هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والتطيب والطيب وما أشبه ذلك)

(ما جاء فى التختم) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يتختم فى يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم فى يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

فالدين من بيت هذا ناله الأمم ٭ وليس قولك من هذا بضائره ٭ فالعرب تعرف من أنكرت والعجم تعجم

هشام ثم أطلقه فوجه اليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال له على بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئا لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها (ومن غالى جواهر العقد لابن عبد ربه) قال يزيد حدثنى أبى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قدم من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه معاوية فى موكب نبيل فأعرض عمر فجعل يمشى الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل فأقبل عليه وقال يا معاوية أنت صاحب الموكب مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لأنا فى بلاد لا نمتنع من الجواسيس ولابد لهم ما يروعهم من هيبة السلطان فان امرتنى بذلك قمت عليه وان نهيتنى عنه انتهيت قال ان كان الذى قلت حقا فانه رأى أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك عنه

(ومن لطائف معاوية) أنه كان لعبد الله بن الزبير ارض قريبة لأرض معاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا

كف الرسالة لبس يخفى حسنها وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامى أن رسول الله ﷺ كان يختم فى يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضى الله تعالى عنه إلى اليسار وأخذ الاموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقى الى ايام الرشيد رضى الله تعالى عنه فنقله إلى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك و بلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب عليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق ولا نقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لأبى نواس خاتما أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والآخر حديد صينى عليه اشهد أن لا إله إلا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل فى فمه قال جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنه ما افترقت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للبال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر ماجاء فى الحلى) قيل إن قرطى مارية بنت ظالم بن وهب الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما (وقال محمد) بعثنى يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفى كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسرى اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم مايكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنها فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضى الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبى ﷺ وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنى ملكه زيدت فى تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

(ذكر ماجاء فى الطيب والتطيب) قال رسول الله ﷺ أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كأنى أنظر الى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم ٭ وعن سهل بن سعد يرفعه ان فى الجنة لمرعى من مسك مثل مراعى دوابكم هذه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله ﷺ فنام عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال ياأم سليم ماهذا الذى تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه وناول المتوكل فى فاره المسك فقال لئن كان هذا طيبنا وهو طيب لقد طيبته من يديك الانامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علمينى كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جواريك هو لك منى كلما أردته ثم قالت والله انى ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول : أطيب الطيب عرف أم أبان فار مسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذا خرج من بيته إلى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمى عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يطلى جنده فاذا مر فى الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك ٭ وعنه وعن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حين احرم والغالية على صدغيه كأنها ازقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لى لكان رأس مالى وقيل لما بنى عمار بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بفاطمة

فى أرض عبدالله فكتب الى معاوية أما بعد فانه يامعاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول فى أرضى والا كان لى ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ماترى قال أرى أن تنفذ اليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه فقال يابنى عندى خير من ذلك على بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى والله ما ساءك والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك وقد كتبت على نفسى رقما بالارض والعبيد وأشهدت على فيه ولتضف الارض الى أرضك والعبيد إلى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد فلما قراه اصفر وجهه فقال يا بنى إذا رميت بهذ الدواء داوه بهذا الدواء (نادرة لطيفة) قال الاستاذ أبو على لما سعى غلام خليل بالصوفية إلى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فاما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والثورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع اضرب أعناقهم فتقدم الثورى فقال له السياف أتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما

بنت عبدالملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله تعالى وجهه تشمموا النرجس ولو في العام مرة فإن في قلب الإنسان حالة لا يزيلها إلا النرجس وكان الشعبي يقول إذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون إذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرقا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة إلا بالطيب الطاهر ﷺ وما أحسن ما قيل

إذا لم أطب في طيبة عند طيب ... به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل إن فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فإذا صادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها إلا رائحة لازمة لها وحكي أن العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه فلا يأكله شيء إلا مات ولا ينقره طائر إلا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان إلا نصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت أناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الأشهب ثم الأزرق وأدونه الأسود * وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة إنما هو شيء نثره البحر وأما العود فأجوده المندلي وهو منسوب إلى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فإن انطبع فرطب وإلا فلا ومن خصائصه أن رائحته الطبع في الثوب أسبوعا فلا يقمل ما دامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فإذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الأشجار وأما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان

لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم ... لم ينكر الكلب أني صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يقدمني ... والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوي القلب والعنبر يقوي الدماغ والكافور يقوي الرئة والعود يقوي المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الأورام وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال لا تردوا الطيب فإنه طيب الريح خفيف المحمل تبخر بعض الأمراء وعنده أعرابي فقرطت من الأمير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الأعرابي أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الأحنف إن شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنتن من ريح مسك شممته من الناس إلا ريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والأربعون في الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الأول في الشباب وفضله) روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي العلم إلا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف وقال تعالى إنهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى وإذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضي الله

يعجلك قال أوثر أصحابي بحياة ساعة فتحير السياف ونما الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضي ليعرف أحوالهم فألقى القاضي على أبي الحسن الثوري مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول إن لله عبادا إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضي فأرسل إلى الخليفة يقول إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم فأكرمهم وأطلقهم (ومن المروي عن أحمد بن أبي داود القاضي) أنه قال ما رأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به إلا تميم بن جميل الخارجي كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جيء به أسيرا فأدخل عليه في يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر إليه المعتصم فأعجبه شكله وقد رآه يمشي إلى الموت غير مكترث به فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر في عقله وبلاغته فقال يا تميم إن كان لك عذر فأت به فقال أما إذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم به شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الألسن وتصدع الأفئدة وايم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق إلا العفو وهو الأليق بشيمتك الطاهرة ثم أنشد

تعالى عنه قبض رسول الله ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على جميع الأنصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبدالله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر :

أحلى الرجال مع النساء مواقعا ٭ من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شىء ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله فى جنات خلده كما قال رسول الله ﷺ جردا مردا أبناء ثلاثين وقد جاء فى ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها .

(الفصل الثانى فى الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفى الخبر أن الله تعالى يقول الشيب نورى وأنا أستحى أن أحرقه بنارى وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان إلى النبى ﷺ شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل ان يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ انه قال يقول الله تعالى وعزتى وجلالى وفاقة خلقى إلى انى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الإسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكى ممن يستحى الله منه وهو لا يستحى من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال إذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله فى الأرض تكتب له الحسنات وتمحى عنه سيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتى سنة فبكته الإنس والجن لحداثة سنه وقال النخعى كان يقال إذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل فى بيت له بابان فقام فى وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبدالعزيز ابن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشىء الإسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

ياعامر الدنيا على شيبه ٭ فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه ٭ وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبى الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للصبا ٭ وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينهض فى الشباب كأنه ٭ ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبو دلف فى بياض اللحية)

تكوننى هم لبيضاء نابته ٭ لها بغضة فى مضمر القلب ثابته
ومن عجب إنى إذا رمت قصها ٭ قصصت سواها وهى تضحك ثابته

(وقال أيضا) أرى شيب الرجال من الغوانى ٭ بمنزلة شيبهن من الرجال
(وقال ابن المعتز) فظللت أطلب وصلها بتذلل ٭ والشيب يغمزها بأن لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يا بنى إن أطلعت أعطيتها بغير ثمن ٭ ومر رجل أشمط

رأى امرىء ما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة ٭ وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وماجزعى من أن أموت وانني ٭ لأعلم أن الموت شىء موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم ٭ وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى إليهم ٭ وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
وإن عشت عاشوا سالمين بغبطة ٭ أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره ٭ وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم (ومن لطائف المنقول من المستجاد) إنه كان بين غسان بن عباد وبين على بن عيسى القمى عداوة عظيمة وكان على بن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فألح المأمون عليه بطلبها

إلى أن قال لعلي بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فان أحضر المال وإلا فاضربه بالسياط حتى يؤدي بالمال أو يتلف فانصرف

الخط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال ياهذه إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه وإلا فأعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وماهو قالت شيب فى رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله مابلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسي شعرة بيضاء ولكنني أحببت أن أعلمك أني أكره منك مثل ما تكره مني فأنشد ويقال انه لابن المعتز

رأيت الغواني الشيب لاح بمفرقي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر

وقال آخر: سألتها قبلة يوما وقد نظرت ... شيبي وقد كنت ذا مال وذا نعم
فأعرضت وولت وهي قائلة ... لا والذي أوجد الأشياء من عدم
ماكان لي فى بياض الشيب من أرب ... أفي الحياة يكون القطن حشو فمي

وقال آخر: قالت أرى مسك الشعر البهيم غدت ... كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى ... معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا ... المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر: قالت أراك خضبت الشيب قلت لها ... سترته عنك ياسمعي ويابصري
فقهقهت ثم قالت من تعجبها ... تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقال ابن نباته: تبسم الشيب بوجه الفتى ... يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لايبكي على نفسه ... من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز: فما أقبح التفريط فى زمن الصبا ... فكيف به والشيب فى الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأيت وضحا فى الرأس من قراعها ... فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب فى السواد لوامع ... فياحسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال فى الرجل إذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

إذا نازع الشيب الشباب فاصلتا ... بسيفيهما فالشيب لا شك غالب

وقال آخر: ألا ان شيب العبد من نقرة القفا ... وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال العتبي: قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ... ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال علي بن ربيع: كبرت ودق العظم مني وعقني ... بنى وزالت عن فراشي العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الأرض بالعصا ... يقودني بين البيوت الولائد

وقال آخر: عريت من الشباب وكنت غضنا ... كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني ... فما نفع البكاء ولا النحيب
فياليت الشباب يعود يوما ... فأخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب: وكم كان من عين علي وحافظ ... كم كان كامن واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم ... ولم يحفظوني واكتفوا بمشيبي

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما شبهت الشباب إلا كشيء كان فى كمي فسقط قال الشاعر

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الأحباب

وقال الحافظ: أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت فى زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

على ابن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدري وجها يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له على ما بيني وبينه من المداوة فقال نعم فان الرجل أريحي كريم فدخل على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذى بيني وبينك على حاله ولكن دخولك إلى دارى له حرمة توجب بلوغ ما رجوته مني فاذكر إن كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال أرجو أن يكفيكه الله تعالى ولم يرده على ذلك شيأ فنهض على بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه ما أفدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل على بن عيسى إلى داره حتى حضر اليه كاتب غسان ومعه البغال عليها المال فتقدم وسلمه وبكر إلى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين أن لعلى ابن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل

وقد لحقه من الخسران فى ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعده بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فان رأي

(ومما جاء فى الخضاب) قال رسول الله ﷺ عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبى عامر الأنصارى رضى الله عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنها يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباه

تسود أعلاها وتأبى أصولها ❊ وليس إلى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لوخضبت شعرك فلما رجع إلى مكة اختضب فقالت امرأة نبيلة ماأحسن هذا لودام فقال

لودام لى هذا الخضاب حمدته ❊ وكان بديلا من خليل قد انصرم

تمتعت منه والحياة قصيرة ❊ ولابد من موت نبيلة أو هرم

وقيل آخر: ياخاضب الشيب الذى ❊ فى كل ثالثة يعود

إن الخضاب إذا نضا ❊ فكأنه شيب جديد

فدع المشيب وما يريد ❊ فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق: فامنك الشباب ولست منه ❊ إذا سامتك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث فى العافية والصحة) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ اليك انتهت الأمانى ياصاحب العافية وعنه ﷺ أنه قال أول مايحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله عنه تعالى عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الأمن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الأبدان والأسماع والأبصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه ياأهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لاجوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

إذا ماكساك الدهر سربال صحة ❊ ولم تخل من قوت يحل ويقرب

فلا تغبطن أهل الكثير فانما ❊ على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم إن كان شىء فوق الحياة فالصحة وان كان شىء مثل الحياة فالغنى وان كان شىء فوق الموت فالمرض وإن كان شىء مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبي معى إلى البيوت التى فيها أنواع النعم والخصب فذهبت معها وإذا صاحب البيت الذىكانت تسكنه قد هيالها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفارة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا الاوان العافية والفقر أحب إلى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت إلى البرية ❊ وكان عند رومى خنزير فربطه إلى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف مايتناثر فقال لأمه ياأماه ما أطيب هذا العلف لودام فقالت له يابنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه وجعل يضطرب وينفخ هرب الجحش وأتى إلى

أمير المؤمنين أن يخبرنى على حسن كرمه ببعض ماعليه فهى صنيعة يجددها على تحرس ما تقدمها من إحسانه ولم يزل يتلطف إلى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوى نفسه وترهف عزمه ويعرف بها مكان الرضا عنه فأجابه المأمون إلى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة إلى حضرته ليوقع ما رآه من هذا الانعام قال افعل فحمل الدواة إلى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج على ابن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر فى داره حمل من المال عشرين ألف دينار وارسلها إلى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ماشفعت عند أمير المؤمنين إلا لتوفر عليه وينتفع بها فامض بها اليه فلما رده كاتبه إلى على بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه إلى آخر العمر (ومن غريب مايقتطف من ثمرات الاوراق) أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله خلف أحد عشر ابنا فأصاب كل ابن نصف وربع دينار وقال لهم عند وفاته يابنى ليس لى مال فأوصى فيه وخلف هشام بن عبد الملك أحد عشر ابنا فأصاب كل واحد من البنين ألف ألف دينار فأما أولاد

أمة وأخرج لها أسنانه وقال ويحك ياأماه أنظري هل بقي في خلال أسناني شيء من ذلك العلف فأفعليه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب .

(الفصل الرابع في أخبار المعمرين في الجاهلية والإسلام) قال الحسن رضي الله تعالى عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا في الإسلام إذا صددوا وزعموا أن تبعا الفزاري كان من المعمرين وأنه دخل على بعض خلفاء بني أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة في فترة عيسى بن مريم عليه السلام في الجاهلية وسنين في الإسلام قال له أخبرني عما رأيت في سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة في اثر ليلة ويوما في اثر يوم ورأيت الناس بين جامع مالا مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوي يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحي يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزي أن آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه أدريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلح تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروي عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بني آدم عمرا وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لاتعد من الاعمار إلا مابلغ مائة وعشرون سنة فمافوقها وعاش أكثم بن صيفي ثلثمائة وستين سنة وأدرك الإسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادي سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الإسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الإسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدي ابن حاتم الطائي وزهير بن جنادة عاش مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العدوي عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب في الجاهلية ومن المعمرين عمر بن معد يكرب الزبيدي ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أره من بعض شبان هذا العصر في القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك في صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون في الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فأشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ من دفع قرطاسا من الأرض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يرن إبليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والأرض ورنة حين ولد محمد ﷺ ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفي أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله ﷺ لايرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وأن أمتي يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الأمم ما اثقل موازين امة محمد فتقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق في كفة لرجحت كفة الاسماء

عمر بن عبد العزيز فما روى احد منهم الا وهو غني ومنهم واحد جهز من ماله مائة الف فارس على مائة الف فرس في سبيل الله تعالى وما روى أحد من أولاد هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد احدهم وهو يوقد في الاتون (قيل) لمعاوية ابن ابي سفيان إن بالحيرة رجلا من بني جرهم قد عمر ورأى اعاجيب فقال معاوية علي به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد ابن شرية قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال اخبرني بأعجب مارأيت في عمرك قال نعم ياامير المؤمنين كنت في حي من احياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عثير بن لبيد العذري فمشيت في جنازته وتأسيت بجماعته فلما دفن في قبره وأعول النساء في أثره أدركتني عليه عبرة ولم استطع ردها وتمثلت بابيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطري منها هذه الابيات

ياقلب إنك من أسماء مغرور . فاذكر وهل ينفعك اليوم تذكير .
قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد . حتى جرت لك اطلاقا محاضير .
فلست تدري ولاتدري أعاجلها . ادنى لرشدك ام مافيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به . فبينما العسر إذ دارت مياسير

(وأما الاسماء والكنى) ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغى أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يافقيه ياأخى يافقير ياسيدى ياصاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شىء أن أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل ياأمير المؤمنين قال أسألك عن شىء له اسم ولا كنية له وعن شىء له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله عنه لأنه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الإسلام وقيل لأنه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله تعالى عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن وأصح من الأخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها فى حجرى فالعب بها وكان رسول الله ﷺ يقول ياأبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله تعالى عنه كنية الدجال أبو يوسف ٭ ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين ٭ ذو الرياستين الفضل بن سهل لأنه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه هدايا فقال:

اليوم يوم المهرجان هديتى فيه اللسان لك دولتان حديثة
وقديمة ورياستان لك فى الورى من هاشم بنت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ ـت قصرت فى هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا ٭ المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوف ثم تحالفوا ٭ شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه ٭ يضىء فى ظلام الليل كالقمر البدر وقيل له عبد المطلب لأن عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبد لى ٭ سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لأنه أول من صدق رسول الله ﷺ ٭ سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لقب بالفاروق لأنه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الإسلام وفرق بين الحق والباطل ٭ الكامل سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم ٭ طلحة بن عبد الله رضى الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه ٭ رشح الحجر وأبو الريان عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره ٭ عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه ٭ الحبر عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر ٭ الاشدق عمرو بن سعيد لأنه كان مائل الشدق ٭ الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وكان أول من غنى من خزاعة ٭ راح يكذب لقب به المهلب لأنه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب وأصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان تسمع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزال

وبينما المرء فى الأحياء مغتبط إذا هو الرمس تعفوه الاعاصير يبكى الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور. وذاك آخر عهد من أخيك إذا. ما المرء ضمنه اللحد الخناسير. فبينما أنا أردد هذه الأبيات وعيناى ينسكبان إذ قال لى رجل إلى جنبى من عذرة يا عبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هذا الميت الذى دفناه وأنت الغريب الذى تبكى عليه ولا تعرفه ولا تعلم أنه قائل هذه الأبيات وذو قرابته الذى ذكرته مسرور هو ذاك وأشار إلى رجل فى الجماعة فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة فقال معاوية ياأخا جرهم سل ما شئت قال ما مضى من عمرى ترده والأجل إذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لى سل غيره قال ياأمير المؤمنين ليس اليك رد شبابى ولا الآخرة فتكرم مآبى والمال فقد أخذت منه فى عنفوانى ما كفانى قال لابد أن تسألنى قال اما اذ شئت فأمر لى برغيفين أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله واعلم إنك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت فأمر له معاوية

٭ سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تيم ولم يكن منهم وهو شيبانى ٭ أبو عمرو الشيبانى لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى ٭ اليزيدى كان يعلم يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه . ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لأحد من الامم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه ... ولا ألقبه والسوءة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أباخالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن يعرف الا بذلك كالاعمش والأعمى والأعرج والأحول والأفطس والأقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الامم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تلقيب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى لعمر الله الغصة التى لاتساغ والغبن الذى يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا ٭ الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يتكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله ﷺ فى على رضى الله تعالى عنه أبو تراب وذلك أنه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب بدمه نوم لجا . رسول الله ﷺ وهو متمرغ فى التراب فقال له اجلس أباتراب وكان أحب اسمائه اليه وكقولهم أبى لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبى الرأس وأبى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية ياأبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون باسماء ابنائهم كأبى زهو وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولاحرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبدالله وأبو ليلى ومنهم أبو أمامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريمة المقداد بن معد يكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لأنس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول ﷺ فرآه حزينا فقال ماشأنه فقالوا مات نغيره فقال ياأبا عمير مافعل النغير . ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لاأدرى فقال:

تسميت لاأدرى فانك لاتدرى ... بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه مامن قوم كان بينهم مشورة فحضر معه من كان اسمه محمد أو أحمد فادخلوه فى مشورتهم الا كان خيرا لهم ومامن مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما جاء فى مدح الاسماء منظوما) قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

وأعطيناه من حنطة وغيرها فردها وقال ان أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتنى والا فلا حاجة لى فى ذلك

ثم ودع وانصرف (قيل) وفد عبدالله بن جعفر رضى الله عنه على احد خلفاء بنى أمية فقال له الخليفة كم كان أمير المؤمنين يعطيك يعنى اباه قال كان رحمه الله يعطينى الف الف درهم قال زدناك لترحمك عليه الف الف درهم قال بأبى انت وأمى قال وبهذه الف الف قال لاأقولها لاحد بعدك قال منعنى من الاطناب فى وصفك الاشفاق عليك من جودك قال ولهذه الف الف فقيل له فرقت يا أمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد قال انما فرقته على أهل المدينة اجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لايشعر فلما قدم المدينة فرق جميع مامعه حتى احتاج بعد شهر الى القرض) ومن لطائف المنقول) ان رجلا قال لهشام القرطبى كم تعد قال من واحد الى الف الف واكثر قال لم أرد هذا كم تعد من السن قال اثنتين وثلاثين سنا عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لى منها شىء والسنون كلها لله قال ياهذا ماسنك قال عظم قال ابن لى ابن كم انت قال اثنين رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى على شىء قتلنى قال كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) وعرض

رأيت حبيبي في المنام معانقي وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لي من بعد هجر وقسوة وما ضر إبراهيم لو صدق الرؤيا

(وفيه أيضا) لازال بابك كعبة محجوجة وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى في البقاع بأسرها هذا المقام وأنت إبراهيم

(وفيه أيضا) سمى الخليل ان فؤادي فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قائلي ان قلبي فيه نار وأنت فيه مقيم

(ولبعضهم في مليح اسمه عمر)

ياأعدل الناس أسماكم تجور على فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر وأبدلوها بعين خيفة العين

(وفيه أيضا) ماعليهم في الهوى لو نظروا حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا أخطؤا ما أنت إلا قمر

(ولبعضهم في مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

وافى بشمعة وضاؤها وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم يا كل المنى فأجابني عثمان ذو النورين

(ولبعضهم في مليح اسمه يوسف)

يامن سبى الشعراء نمل عذاره النجم يشهد لي بأني هدتقف
صيرت قلبي من صدودك فاطرا فامنن على بزورة يا يوسف

(وللصفي الحلي فيمن اسمه داود)

وثقت بأن قلبي من حديد وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب اذا داود لان له الحديد

(وله فيمن اسمه موسى)

أتى موسى بآية خال خد حرته صوارم الحدق المراض
آية ذا بياض في سواد وآية ذا سواد في بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى كليم الله في الحقب المواضي

(وللقرطبي في مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما أن فاق في حسنه ونما وأجمع الناس إذ رأوه بأنه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الأنام أمامنا الحبر الذي سكب العلوم كبحر فصل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه والعلم تشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من أخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة وأوصافه تزري بكل جميل
فلا خير في بلتاج ان لم يكن بها ولا خير في الدنيا بغير خليل

(وقال آخر في مقبل)

يامن تحجب عن محب صادق مازال عنه كل يوم يسال

والجوار يباع قال وكيف لا يباع جوار من إن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتداك وإن أسأت اليه أحسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه إليه بمائة الف درهم وقال أمسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله ابن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها فدخل بثلاثة أقراص فأتى كلب فدنا منه رمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبدالله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت الكلب قال لأن أرضنا ماهي بأرض كلاب وأخاله جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما كنت صانعا اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبدالله بن جعفر الأمر منهي على السخاء والله ان هذا لأسخى مني فأشترى النخل والعبد فأعتقه ووهب ذلك له) ومن لطائف المنقول إنه رفع الرشيد موت العباس بن الأحنف وإبراهيم الموصلي المعروف بالنديم وعشيمة لخارة في يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الأول إبراهيم الموصلي فقال أخروه وقدموا ابن الأحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ

من لى بيوم فيه تسمح باللقا ويقال لى هذا حبيبك مقبل

(ولبعضهم فى مليح اسمه محسن)

واهيف يعلو على عشاقه برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن وكم دموع فى الهوى أسالها

(ولصفى الدين الحلى فى اسم حسين)

حبيبى وافر والشوق منى طويل والهوى عندى مديد
وأعجب اننى أهوى حسينا وشوقى فى محبته يزيد

(ومما قيل فى أسماء النساء) فى فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل لمرتجى الوصل لها فاطمة
تنكر ما القاه من وجدها وهى بشوقى والجوى عالمة

(قال ابن مكانس فى اسم عائشة)

يا دهر خرنى بحقك واشفنى فسهام فكرى فى أمورك طائشة
أيحل أنى فى المحبة ميت وحبيبى من بعد موتى عائشة

(وقال شمس الدين البديرى فى اسم حليمة)

ولما رأتنى فى هواها متيما أكابد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر ومن أين تدرى الجور وهى حليمة

(ولبعضهم فى اسم بركة دو بيت)

لما نصب الهوى لقلبى شركه ناديت وقلبى تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل لشركه تغنيك سنين ساعة من بركة

(مرفوعا أيضا) لما نصب الهوى لقلبى شركه فى كل طريق
ناديت وقلبى نارك من تركه لو كان يفيق يا قلب أفق ولا تمل لشركه
ما الشرك يليق تغنيك سنين ساعة من بركه عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت إلى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وماقيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

(أما ما جاء فى الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان)

فقد قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفى الأثر سافروا تغنموا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الأخلاق أن الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده إشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلنى أمضى لشانى ولا أكن على الأهل كلا ان ذا لشديد
تهيبنى ريب المنون ولم أكن لا هرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرت مجلسى وقيل إذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى أجول الأرض عمرى لعله يسر صديق أو يغاظ حسود

حضر فقال بقوله وسمى بها قوم ورق لوا انها لهى التى تشقى بها وتكابد فجدتهم ليكون غيرك ظنهم انى ليعجبنى المحب الجاحد ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين (قلت ويضارع هذا ماحكاه صاحب الاغانى) حكى أن رجلا أدى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضي هل يعرفك أحد من ذوى العدالة قال نعم فلان فلما حضر هذا القاضى هل تعرف قال له قال نعم أعرفه عدلا وما ذاك إلا أنى سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غضضن من أبصارهن وقلن لى
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت أن هذا لا يرسخ الا فى قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رقائق الشيخ تقى الدين السروجى تسلب العقول وكان يغنى بها فى عصره لأنها فى الطريق الغرامى غاية لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله

وقال رسول الله ﷺ عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار فى غير رفقة وقال ابن مالك رضى الله تعالى عنه كان رسول الله ﷺ يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقه فقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال ﷺ إذا خرج ثلاثة فى ركب فليؤمروا أحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر ابن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمان ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

هممنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله تعالى عنه من مكة إلى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لاشىء ألذ من السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان

(قال الفرزدق) وفى الأرض عن دار القلى متحول وكل بلاد أوطنتك بلاد

(وقال آخر) وما هى إلا بلدة مثل بلدتى خيارهما ما كان عونا على دهر

(وقال آخر) وإذا البلاد تغيرت عن حالها فدفع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا فى بلدة تدع العزيز ذليلا

(وقال الصفى الحلى)

تنقل فلذات الهوى فى التنقل ورد كل صاف لاتقف عند منهل

ففى الأرض أحباب وفيها منازل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرىء القيس أنه مضل ومن ذا يهتدى بمظلل

(وقال عبد الله الحمدى)

فان تجف عنى أو تزرنى اهانة أجد عنك فى الأرض العريضة مذهبا

(ومما قيل فى الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ماكان جدك صانعا فى قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لايرى مظعن أحبابه ثم انشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول * قليل الموالى مسلم بجريرة له بعد نومات العيون الليل * يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

باكبر منى لوعة يوم راعنى فراق حبيب ماإليه سبيل

(وقال الشاعر) وماأم خشف طويل يوم وليلة ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدرى إلى أين تبتغى * مرلهة حزنا العفافيا * أضر بها حر الهجير فلم تجد لعلتها من بارد الماء شافيا * إذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فالفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع منى يوم شدوا حمولهم ونادى منادى البين أن لاتلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى ياماجشون ماقلت حين فارقت أحبابك قال قلت ياأمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا قد كنت أحذر هذا قبل ان يقعا ما كان والله شوم الدهر يتركنى حتى يجرعنى من بعدهم جرعا . ان الزمان رأى الف السرور لنا . فدب بالبين فيم بيننا يسعى

فليصنع الدهر بى ماشاء مجتهدا فلا زيادة شىء فوق ماصنعا

وصولا بالذى أنفقته

يامن شغلت بحبه عن غيره وسلوت كل الناس حين عشقته

كم جال فى ميدان حسنك فارس بالسبق فيك إلى رضاك سبقته

أنت الذى جمع المحاسن وجهه لكن عليه تصبرى فرقته

قال الوشاة قد ادعى بك نسبة فسررت لما قلت قد صدقته

بالله إن سألوك عنى قل عبدى وملك يدى وما أعتقتا

أو قيل مشتاق اليك فقل لهم أدرى بذا وأنا الذى سوقته

(قلت) لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه (فان الشهاب محمود) وكان الشيخ تقى الدين السروجى مع دينه وورعه وزهده وعلمه مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو أن لايحضر بالمجلس امرأة (قال الشهاب محمود) وكنا يوما فى دعوة فأحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى صحون فلما أحضر فقال

فقال والله لأعيننك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهم على بعد ... ولم أودعهم وجدا واشفاقا
انى خشيت على الأظعان من نفسى ... ومن دموعى احراقا واغراقا

(وقال عمر بن أحمد) أتى الرحيل لحين جد ترحلت ... مهج النفوس له عن الأجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه ... لم يدر كيف تفتت الأكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا إلى دير هرقل فنظرنا إلى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده إلى حجر يرمينا به وقال ألمثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم إلا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو ... وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها ... يرنو إلى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم ... ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
يا حادى العيس عرج كى أودعهم ... ياحادى العيس فى ترحالك الأجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم ... ياليت شعرى لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى

(وقال آخر) لما علمت بأن القوم قد رحلوا ... وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له ... ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى ... وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم ... بالامس كانوا بهاوها الآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن العربى رحمه الله تعالى .

مارحلوا يوم ساروا البزل العيسا ... إلا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة ... تخالها فوق عرش الدم بلقيسا
إذا تمشت على صرح الزجاج ترى ... شمسا على فلك فى حجر ادريسا
أسقفة من بنات الروم عاطلة ... ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت ... فى بيت خلوتها للذكر ناوسا
أن أومأت تطلب الانجيل تحسبهم ... قساقسا أو بطاريقا شماميسا
ناديت إذ رحلوا للبين ناقتها ... ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا
غيبت أجناد صبرى يوم بينهم ... على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهموا ... والوجد فى القلب لاينفك مغروسا

(وقال آخر) ولما تبدت للرحيل جمالنا ... وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها ... وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت باطراف البنان وودعت ... وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله مامن مسافر ... يسير ويدرى ما به الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها ... فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت إلهى كن عليه خليفة ... فيارب ما خابت لديك الودائع

بعد ذلك تفرق منه وقال كيف يؤكل وقد مسته بأيديهن (قال الشيخ أثير الدين) ولما توفى الشيخ تقى الدين بمصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محبوبه أن لا يدفنه إلا فى قبر ابنه وقال كان الشيخ يهواه بالحياة وما افرق بينهما بالممات هذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وثمرة هذه الشجرة فانه ممن هام مع زهده وتورعه بالجمال وعف وصبر إلى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرىء الادب وله مجلس بمحلة دار الروم وكان لا يقرىء إلا الأحداث ففتن بنصرانى اسمه عمرو بن يوحنا كان من أحسن أهل زمانه وألطفهم طبعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها فى حجره وهى

بمجالس العلم التى ... بك تم جمع جموعها
الا رثيت لمقلة ... غرقت بماء دموعها
بينى وبينك حرمة ... الله فى تضييعها

فلما قرأها عمرو استحيا وعلم بها من فى المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة وقيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين فى دينهم وعده صاحب مصارع العشاق

(وقال آخر) يا راحلا وجميل الصبر يتبعه هل من سبيل إلى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

(وقال البغدادي) قالت وقد نالها للبين أوجعه والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي لقد ضعفت قواه عن حمل مافيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى من شقت شمل اهوى بالبين يجمعه
كأنني يوم ولت حسرة وأسى غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

(وقال ابن البديري)

قفا حاديا ليلى فاني وامق ولا تعجلا يوما على من يفارق وزما مطاياها قبيل مسيرها
ليلتذ منها بالتزود عاشق ولاتزجرا بالسوق أظعان عيسها فان حبيبي للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا ونحن كلانا في التفكر غارق
وقفنا ودمع البين يحجب بيننا تسارقني في نظرة اسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

(وقال آخر) تذكرت ليلى حين شط مزارها وعادت منازلها خليات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا وسمر العوالي للمنايا تشرع وخالفت لوامي عليها وعدلي
وحالفت سهدي والخليون هجع ولم أستطع يوم النوى رد عبرة فؤادي أسى من حرها يتقطع
فقال خليلي إذ رأى الدمع دائما يفيض دما من مقلتي ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجري صبابة على غير ليلى فهو دمع مضيع

(وقال آخر) مددت إلى التوديع كفا ضعيفة وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد بيننا ولا كان ذا التوديع آخر زادي

(وقال آخر) ولما وقفنا للوداع عشية وطرفي وقلبي دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة كأني سحاب والوشاة بروق

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى)

ياسادة في سويد القلب مسكنهم وفي مناي أرى أني أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو يا من يعز علينا أن نفارقهم

(وقال آخر) لو أن مالك مالم بذري الهوى ومحله من أضلع العشاق
ماعذب العشاق إلا بالهوى وإذا استغاثوا غاثهم بفراق

(وقال ابن الوردي)

دهر ند أضحى ضنينا . باللقا حتى ضنينا يالبالي الوصل عودي إجمعينا أجمعينا

(وقال الشريف الرضي)

عللاني بذكرهم واسقيام وامزجالي دمعي بكاس دهاق
وخذا النوم من جفوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر عند ذلك)

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم نعم واشفق من دمعي على بصرت
ماحق طرف هداني نحو حسنكمو أني أعذبه بالدمع والسهر

(قال الموصلي) فسدت لطول بعادكم أحلامنا وعقولنا وجفا الجفون منام

مع الذين ماتوا غراما (وقال في كتابه المرسوم بمصارع العشاق) أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيباني لنفسه في عمر النصراني قال القاضي أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه . .

من عاشق ناء هواه دان
ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان
معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه
لكن هوى نمت به عيناه
شوقا إلى رؤية من أشقاه
كأنما عافاه من أبلاه
ياويحه من عاشق مايلقى
من أدمع منهلة ما ترقى
ذات إلى أن كاد يفني عاشقا
وعن دقيق الفكر سهادا
لم يبق منه غير طرف يبكي
بأدمع مثل نظام السلك
تخمد نيران الهوى وتذكي
منهله قطر السماء تحكي
إلى غزال من بني النصارى
فضل بالحسن على العذارى
وغادر الأسد به حيارى
في ربقة الحب له أسارى
ريم بهأى هزير لم يصد
يقتل باللحظ ولايخشى القود
متى نقل هاقالت الألحاظ قد
كأنه ناسونه حين اتحد
ياليتني كنت له زنارا
يديرني في الخصر كيف دارا
حتى إذا الليل طوى النهار صرت له حينئذ ازارا

واللطيف

والطيف قد وعد الجفون بزوره ياحبذا ان صحت الاحلام

(ومماقيل فى البكاء) قال الشاعر

وجرت طيف خياله وكيف لى بهجوع والناظريات جفونى والمراسلات دموعى

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتى وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل عن حالها يا ما جرى

(وقال آخر) ان عينى مذغاب شخصك عنها يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى لاتسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر) ياقلب صبرا على الفراق ولو روعت بمن تحب بالبين
وأنت يادمع ان ظهرت بما أخفيه من قلبى سقطت من عينى

(وقال آخر)

خاض العواذل فى حديث مدامعى لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكموا حتى يخوضوا فى حديث غيره

(وقال ابن المواز)

رحت يوم الفراق أجرى دموعى حسرة اذ قضى الفراق ببينى
قيل كم إذا تجرى دموعك تدمى أوقف الدمع قلت من بعد عينى

(وقال آخر) لما لبست لبعده ثوب الضنى وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مدامعى من بعده وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر) ولم أر مثل غار من طول ليله عليه كأن الليل بعشقه معى
ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال الموصلى) عين أفاضت دموعى لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت رأيت غسلى بعينى

(وقال آخر) وما فارقت ليلى من مراد ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل إلف إذا ماتت حبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفرق الاحبه

(ومما جاء فى الحنين إلى الوطن) أما محبة الوطن فستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى أن أبان قدم على النبى ﷺ فقال ياأبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ وقال بلال رضى الله عنه

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها توافة وإلى مسقط رأسها مشتاقة ومن حب الوطن) ماحكى أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بأن يحمل تابوته إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى إلى مقابر آبائه فقبره بالأرض المقدسة * وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل مته فى تابوت من ذهب إلى بلاد الروم حبا لوطنه * واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من

ياعمر بالحق مع اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها بالفم
ثم استحال فى القنوم الاقدم
يكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قمصا
يوما مقداره ماقصصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى أكمها وأبرصا
بحق محيى صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما فى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكى إذا مانام كل هاجع
بحق قوم حلقوا الروسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مار مريم وبولس
بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس
ونينوى إذا قام يدعو ربه مطهرا من كل سوء قلبه ومستقبلا فاقيل ذنبه ونال من مولاه ماحبه

تراب اصطخر فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة إذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ماقال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشىء الذى ليس بالحسن
ونستعذب الأرض التى لاهواء بها ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبدالله بن سليمان فى نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الإسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وماسواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام

(ومما جاء فى ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر يارب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان * ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد أعرابى السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى وذرى الشهور فانهن قصار
فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا وارحم بنانك انهن صغار

فأقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته (وقال ابن لهيثم)

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه ﴾

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر راس كل بلاء وداعية إلى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروءته ومن فقد مروءته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لاله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفى الحديث لاخير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمنى إذا وقيت الأوانى بالأوانى لماء وجهى وانى

وقال لقمان لابنه يابنى أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيئا أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف مابه وكان العباس رضى الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد

بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد اشمون وعيد الفطر
وبالشعانين الجليل القدر
وعيد مزمارى الرفيع الذكر
وعيد شهياء وبالهيا كل
والدخن اللاتى بكف الحامل
يشفى بها من خبل كل خابل
ومن دخل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العناد
قاموا بدين الله فى البلاد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق ثنى عشرة من الأمم
ساروا إلى الاقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبح الهدى جلا الظلم
ساروا إلى الله ففازوا بالنعم
بحق سافى محكم الانجيل
من محزل التحريم والتحليل
وخيرى ذى نبأ جليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد التقى الصالح
بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
من كل غاد منهم ورائح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الأمساح
من راهب باك ومن نواح
بحق تقدسك فى الأعياد
وشربك القهوة كل صاد
بما يعينك من السواد بطوق تقطيعك للاكباد

خطؤه صواب وسيئاته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب وان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت إلى كل مايذل القوي ويكسره فلم أر شيئا أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة ... الى كل مايلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا ... فلما رأوني بعدما مات مرحب
(وقال آخر) المال يرفع سقفا لاعماد له ... والفقر يهدم بيت العز والشرف
(وقال آخر) جروح الليالي مالهن طبيب ... وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره ... تحقه الأقوام وهو لبيب
ومن يغتر بالحادثات وصرفها ... يبيت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرني ان قال اخطأت جاهل ... اذا قال كل الناس انت مصيب
(وقال آخر) الفقر يزري بأقوام ذوي حسب ... وقد يسود غير السيد المال
(وقال آخر) لعمرك ان المال قد يجعل الفتى ... سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى ولا ... ولا وضع النفس النفيسة كالفقر
(وقال آخر) إذا قل مال المرء لانت قناته ... وهان على الأدنى فكيف الأباعد
(وقال ابن الاحنف) يمشي الفقير وكل شيء ضده ... والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب ... ويرى العداوة لايرى أسبابها ... حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة
خضعت لديه وحركت أذنابها ... واذا رأت يوما فقيرا عابرا ... نبحت عليه وكشرت أنيابها
(وقال آخر) فقر الفتى يذهب أنواره ... مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه ... إذا بلي بالفقر إلا غريب
(وقال آخر) ان الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالا
(وقال آخر) ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها ... فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت ... يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كذاب

(قال الكناني) أصبحت الدنيا لنا عبرة ... فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع على ذمها ... وما أرى منهم لها تاركا
(وقال الزمخشري) واذا رأيت صعوبة في مطلب ... فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه ... حجر يلين قوة الأحجار

قال النوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب إلى من أن احتاج إلى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى ... ولا تفرط فيه تبقى ذليل ... وان يقولوا باخل بالعطا
فالبخل خير من سؤال البخيل ... واحفظ على نفسك من زلة ... يرى عزيز القوم فيها ذليل

بحق ماقدس شيئا اليه بالحمد لله وبالتنزيه نسطور وما يرويه عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم
وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير الفهم
موتهما كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني
والبطرق الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس في أعلى
الجبل ومار قولا حين
صلى وابتهل وبالكنيسات
القديمات الاول
وبالمسيح المرتضى ومافعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم
وما حوى مغفر رأس
مريم بحرمة الصوم الكبير
الاعظم بحق كل بركة
وبحرم بحق يوم الذبح
في الإشراق وليلة الميلاد
والتلاق والذهب الابريز
لا الاوراق بالفصح
يامذهب الأخلاق بكل
قداس على قداس قدسه
القس مع الشماس وقربوا
يوم خميس الناس وقدموا
الكاس لكل حاس الا
رغبت في رضا أديب
باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق إلى المذيب
أعلى مناه أيسر التقريب
أنظر أميري في صلاح
أمري
محتسبا في عظيم الأجر
مكتسبا في عظيم الأجر
مكتسبا من جميل الشكر
من نثر ألفاظ ونظم شعر
(قلت والشيء بالشيء
يذكر) الشيخ مدرك ألجأته
الضرورة الفرامية أن يتجشم المشاق ويتقرب إلى محبوبه بأقسام لها عند دين النصرانية محل عظيم الموقع كالجأت الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي

(وأما ماجاء في الاحتراز على الأموال)

فقد قالوا ينبغي لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترقين الموهمين والمتمسين (فأما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الأموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام إلى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ماقدموا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال أنه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضي التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الأوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشيء اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال قاعده وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابانز فان روعي صاحب المال ووفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفي مافيها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين حصل لنفسه وعمل مايقول به فان حل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه أن مفاتيح الأرزاق بيده وان كسد المشتري أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب * ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شيء من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك انهم يوهمون الغر أنهم ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم الا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بأن مايلجئهم الى ذلك إلا عدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه إلى أن يدخل إلى مكان ويترك عنده عدة لها قيمة فتأخذها وينسحب ومنهم من يشترط أن عمله لاينتهي إلى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك أن كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول الذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأن سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا . ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة ويقولون نريد أن نأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوم أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ماشاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين رغبتهم الطمعة في قماشه أي العدة التي معه فربما قتلوه هناك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطحون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غررا وذلك أنهم إذا ندب صاحب المال أحداً منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط في جودتها وتوفير كيلها او وزنها اوذرعها ووضع من أصل ثمنها شيئا وزنه عنده حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وامانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشيء يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقي مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الأول في الباطن فينبغي لصاحب المال ان لاينفل عنه (وأما المحترقون

(الموهمون)

الشاعر المشهور أن يترك التشيع وكان من كبار الشيعة ويرجح جانب السنة ويوهي أقوال الرافضة وموجب ذلك أن مهذب الدين المذكور هاجر إلى بغداد بسبب مع الشريف الموسوي نقيب الاشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه تتر الذي سارت الركبان بغرامه فيه فأخذ الهدية وأعجبه المملوك فأخذه فلما وصل الخبر إلى مهذب الدين بن منير أشرف على ذهاب روحه وكتب إلى الشريف وإلى تتر

عذبت طرفي بالسهر ... وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي ... من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثماني الضنا ... وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ماله ... عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب ويحك كم تخا ... دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالأغن ... من الظباء وبالأغر
ريم يفوق ان رما ... ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها ... من بأسهن على خطر
وزمت فاصمت عن قسيـ ... ـي لاينالها وتر
جرحتك جرحا لا يخيـ ... ـط بالخيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعقو ... ل عيون أبناء الخزر
فكأنهن صوالج ... وكأنهن لها أكر
تغني الهوى وتمره ... وخفي سرك قد ظهر

أهلي الوجد من فدى يقضى اليه فينتظر نفسي الفداء لشادن ۞ انا من هواه على خطر

الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الأموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الأصدقاء . ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الأرباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر فى ذهن صاحب المال انه يكتسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالى إذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم تشركنا فى متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدرى أنه مثل البازى إن أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيئا واحتجب إلى أن تطعمه وإلا مات وأنا والله لو كان عندى علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان إلا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل فى المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة إلى ان يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع إذا صار المال تحت يده (وأما المتنمسون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكى يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوى الأموال بالبشر والاكرام والتلطف فى المقال ويغدون إلى أبواب الملوك على صفة التهانى بالاعياد وربما يأتى معه بأحد من الاولاد يظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما إلى الدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجعلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك إلى الوصايا والاقوال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك إن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر :

صلى وصام لامر كان أهله … حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لافقير أفقر من غنى يأمن الفقر قال الشاعر .

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى … وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له يا بنى عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة يكرمك للمال وقال بعض الحكماء إذا افتقر الرجل اتهمه من كان به موثقا وأساء به الظن كان ظنه حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه ومامن خلة هى للغنى مدح الا وهى للفقير عيب فان كان شجاعا سمى أهوج وان كان مؤثرا سمى مفسدا ان كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا وان كان لسنا سمى مهذارا وان كان صموتا سمى عييا قال ابن كثير

الناس أتباع من دامت له النعم … والويل للمرء ان زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه … حى كمن مات الا أنه صنم

لما رأيت أخلائى وخالصتى … واشكل مستتر عنى وحشتهم

ابدوا جفاء واعراضا فقلت لهم … اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا إلى بلاد الكفار وضمنه امورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودى إلى ان وصل الكتاب إلى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة جارية هويت هذا اليهودى فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خط ذلك الخط الذى كان فى الدرج قرأ الخليفة الكتاب امر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى إلى داره وفى موكبه كل من فى الدولة فلما قطعت يده واصبح يوم العيد لم يأت احد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية فى اثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودى والجارية فقتلهما شر

رشأ تحاوله الخلوا
طران تثنى أو خطر
عذل العذول وما رآ
ه فخين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صـ
بح جبينه ليل الشعر
تدمى للواحظ خده
فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما
والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ماأحلاه فى ه
قلبى الشقى وما أمر
نومى المحرم بعده
وربيع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا
والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى به وطا
ف ولبى واعتمر
لان الشريف الموسوى
ابن الشريف أبى مضر
أيدى الجحود ولم يرد
إلى مملوكى تتر
والبيت آل أمية الـ
طهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر
وعدلت عنه إلى عمر
وإذا جرى ذكر الصحا
بة بين قوم واشتهر
قمت المقدم شيخ تيـ
م ثم صاحبه عمر
ماسل قط ظبا على آل
النبى ولا شهر كلا ولا صد
البتو
ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الجبتى وما
شق الكتاب ولا بقر
جنح الظلام المعتكر

وبسط عارض المهجر … يكاد بنيران الحضر … وتبرحت حسن صلاته

قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول :

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا عادانى الدهر نصف يوم
فانكشف الناس لى وبانوا يا أيها المعرضون عنى عودوا فقد عاد لى الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

لأنها قوة الظهور النقود وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم أزرى به الدهر يوما ولئيم تسعى اليه الوفود

والأطباء يلعون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الأدوية والمساليق التى يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على درهم والعين تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها قوة الإنسان بالعين

(واعلم)أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد إذا ضعف الفقر ضعف له البدن(حكى)أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشباب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيآن إذ أنت حفظتهما لاتبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وتدكار فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروءة وفخرا(فمن ذلك)ما حكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس ◦ ولنذكر الآن نبذة من الذخاير والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب الطرف ان أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف بأخبار مكة أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين الف أوقيه من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها الف الف وتسعمائة الف وتسعون الف دينار وباع زهرة التيمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين الف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة الف وخمسون الفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين الف دينار وكانت قيمتها الف الف دينار ومائتى الف ووجد المستوردين ربيعة يوم القادسية ابراق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ماقيمته فقال رجل من الفرس أنا أخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به إلى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لا تبعه إلا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة الف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى الف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد قدور ذهب ينزل اليها بسلالم ◦ ودفع مصعب ابن الزبير حين أحس بالقتل إلى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فأخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الأحمر والأصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغها قيمتها ألفى الف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى

قبائلهم

وقرأت من اوراق مصـ
وأزور قبرهما وأز
جر من لحانى أو زجر
وأقول أم المؤمنـ
ين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل ليصـ
بح من بنيها فى زمر
وأتت لصلح بين جيـ
ش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسا
ل حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى
وبغير أمنهم عقر
ما ضره لو كان كف
وعف عنهم اذ قدر
وأقول أن إمامكم
ولى بصفين وفر
وأقول أن أخطأ معا
وية فما إخطا القدر
هـذا ولم يغدر معا
وية ولا عمر ومكر
بطل بسوأته يقا
تل لا يصارمه الذكر
وتجنيت من رطب النوا
صب ما نتمر واختمر
أقول ذنب الخارجـ
ين على على مغتفر
لاثائر اقتالهـم
فى النهر وان ولا اثر
والأشعر بما يقو
ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا
فأنا البرىء من الخطر
فعلا وقال خلعت صا
حبكم واو جز واختصر
واقول ان يزيد ما
شرب الخمور ولا فجر
والجيشه بالكف
عن ابناء طيبة أمر

نسائك وأهلك فقال لا بل إلى رجل قدم عندنا بدا وأولانا جيلا أدع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه (ولما) صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته درج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فانفذها أمير الجيوش إلى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين (ولما) قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه إذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوءة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوءة دراهم خارجا عن الأرادب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهبا وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف حسكة وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرد وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوءة من الحبوب ما لا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه انه يضع القولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره ، وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا   أليس مصير ذلك للزوال

(فضمنت أنا هذا البيت وقلت)

أيا من عاش فى الدنيا طويلا   وأفنى العمر فى قيل وقال   وأتعب نفسه فيما سيفنى
وجمع من حرام أو حلال   هب الدنيا تقاد إليك عفوا   أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه)

قد دل قوله تعالى كلا ان الإنسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى

ونويت صوم نهاره
وصيام أيام أخر
ولبست فيه اجل ثو
ب الملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو
ب من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلا أصا
فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريق
أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو
ل بلحم جونى الجفر
وجعلتها خير المآ
كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى كلها
ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهر فى الصلاة
من بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو
ر لكل قبر يحتفر
وإذا جرى ذكر الغدير
سكنت خلق واقتديـ
ت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثالهم مثل مقالهم
بالفاشر ياقذفشر
مصطيحتى مكسورة
وفطيرتى فيها قصر
بقر ترى برئيسهم
طيش الظليم إذا نفر
وخفيفهم مستثقل
وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم
خلقت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب تغر
يد البلابل فى السحر
والنار ترمى بالشرر

وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذاً أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى ﷺ يبيت طاويا الليالى ماله ولا لأهله عشاء. وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان ﷺ خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يافاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة ه قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال ﷺ الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره إلا أولياء لله تعالى وفى الخبر إذا كان يوم القيامة يقول الله عزوجل لملائكته أدنوا إلى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا إله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر إلى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها لقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون إلى أعلى مراتب الجنان وقال ﷺ هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والأغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين إذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم . وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الأرض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها إلى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله أن أردها عليه وقال عون بن عبدالله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما لانى كنت أرى ثيابا احسن من ثيابى ودابة احسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الإنسان كثرة ماله كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبدالله بن طاهر)

ألم تر ان الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما لمعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يخاف به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله تعالى عنهم اللهم انى اعوذبك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويلان لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب

هذا الشريف أضاني بعد الهداية والنظر مالى متصل فى الورى إلا الشريف ابو معمر

فيقال خذ بعيد الشرء
ف فستقر كما ستقر
لواحه تسطو فاء
تبق عليه ولا تذر
والله يغفر للمسىء
إذا تنصل واعتذر
فاحش إلاله بسوء فعلك
واحتذر كل الحذر
والبكما بدوية ه رقت
لرقتها الحضر
شامية لو شامها
قس الفصاحة لا فتخر
وددى وأيقن انى بحر
وألفاظى درر
حبرتها فغدت كزهر
الروض باكره المطر
والى الشريف بعثتها
لما قرأها وانبهر
رد الغلام وما استمر
على الجحود ولا أصر
وأثابنى وجزيته
شكرا وقال لقد صبر
(ومن لطائف المنقول)
ما نقله الشيخ الإمام
العالم العلامة الحبر زين
الدين أبو حفص عمر بن
الوردى رحمه الله تعالى
لما دخل دمشق المحروسة
فى أيام قاضى القضاة
نجم الدين بن مصرى
ورضوانه فأجلسه فى
حلقة الشهود المعروفة
بالشباك وكان الشيخ
زين الدين يلبس زى أهل
المعرة فاستزراه الشهود
فحضر كتابة مشترى
فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه فقال الشيخ زين الدين

ترسمون أكتبه نظما أو نثرا فزاد استهزاؤهم فقالوا نظما فأخذ القرطاس وكتب بسم الله الخالق هذا ما اشترى

فيها إنما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب إلا على من العيش لم يزل   حزينا على الدنيا رهين غبونها
إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن   على حالة إلا رضيت بدونها

(وقال آخر) ولا ترهبن الفقر ما عشت فى غد   لكل غد رزق من الله وارد

(قال هرون بن جعفر الطالبى)

بوعدت همتى وقورب مالى   فعمالى مقصر عن مقالى   ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع
وهو من بين ما اكتسوا اسربالى   ولقد تعلم الحوادث أنى   ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده إلا تواضعا فما أحسن الفقير وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

(روى) الإمام مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيئا قط فقال لا وأتى اعرابى على على رضى الله تعالى عنه فسأله شيئا فقال والله ما أصبح فى بيتى شىء فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله تعالى عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها إلى الاعرابى وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله ﷺ فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله تعالى عنه ان لكل شىء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه الف دينار . وسأل رجل الحسن رضى الله تعالى عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتى انى أتيتك عام أول فبررتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم إذا سئل ارتاح واللئيم إذا سئل ارتاع (ولما) وفد المهدى من الرى إلى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما   أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد   ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال ابو دلامة ما أسرعك للأولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت فى حجره . وسمع الرشيد أعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلا كل الاعوام   وبرتنا طوارق الايام   فأتيناكم نمد أكفا
لالتقام من زادكم والطعام   فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا   أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه بسألتكم بالله تعالى الا ما دفعتم اليها صدقتكم فألقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير . وسأل اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال اخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان   تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها   حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى أضحت حوائجنا اليك مناخة   معقولة برحابك الوصال

محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق
كلاهما قد عرف من خالق
فباعه قطعة أرض واقعه
بكوره الغوطة وهى جامعة
لشجر مختلف الاجناس
والارض فى البيع مع
الغراس وذرع هذى
الارض بالذراع عشرون
فى الطول بلا نزاع
وذرعها فى العرض
أيضا عشرة ,
وهى ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقى
وجائز الرومى حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد على
والغرب ملك عاملى برجبيل
وهذه تعرف من قديم
بأنها قطعة بيت الرومى
بيعا صحيحا لازما شرعيا
ثم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه
وازنة جيدة مبيضه
جارية للناس فى المعامله
الفان منها النصف الف كامله
قبضها البائع منه وافيه
فعادت الذمة منه خاليه
وسلم الارض إلى من اشترى
فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق
طوعا فما لأحد تعلق
ثم ضمان الدرك المشهور
فيه على بائعه المذكور
وأشهد عليهما بذاك فى
رابع عشر رمضان الاشرف
من بعد خمس تلوها الهجره
والحمد لله وصلى ربى

على النبى وآله والصحب يشهد بالمضمون من هذا عمر ابن المظفر المعرى إذا حضر فلما فرغ الشيخ

أطلق فديتك بالنجاح عقالها ❊ حتى تثور بنا بغير عقال

وعن علي رضى الله تعالى عنه قال ياكميل مر أهلك أن يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الأصوات مامن أحد أودع قلبا سرورا الاخلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فإذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فإذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم وربما ذبح العناق إذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمت ماجعل أبو عقيل على نفسه فأعينوه على مروءته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات .

أرى الجزار يشحذ مديتيه ❊ إذا هبت رياح بنى عقيل
طويل الباع أبلج جعفرى ❊ كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بما نواه ❊ على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتاله خماسية وقال يا بنية إنى تركت قول الشعر فأجيبى الامير عنى فقالت .

إذا هبت رياح بنى عقيل ❊ تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشمى ❊ أعان على مروءة لبيد
بأمثال الهضاب كان ركبا ❊ عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا ❊ نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد أن الكريم له معاد ❊ وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يابنية لولا أنك سألت وقلت عد فقال ياأبت ان الملوك لا يستحيا منهم فى المسئلة فقال والله لأنت فى هذا أشعر منى ، ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فأنشده

والله ماندرى إذا مافاتنا ❊ طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد ❊ أحدا سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عودتنا ❊ أولا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار فعاد اليه من قابل وقال ياأمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فأمر له بألف دينار وقال والله لوقلت حتى تنفد بيوت الأموال لأعطيتك . وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم ياأمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه . وروى أن أبادلامة مشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال أعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء ياأمير المؤمنين عيال ولابدلهم من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة ياأمير المؤمنين قال مالا نبات فيها قال قد أقطعتك ياأمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوا كلها عامرة فانظر إلى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون أنه قال ليحيى بن أكثم يوما سربنا نتفرج فسار فبينما هما فى الطريق وإذا بمقصبة خرج منها رجل بقصبة

زيد الدين وتأمل الجماعة سرعة بديهته مع استيعاب الشروط الشرعية اعترفوا بفضله واعتذروا اليه لما علموا أنه ابن الو... وأجلسوه فى الصدر ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة نظما وسألوه ذلك فكتب عن شخص منهم إلى جانبه يدعى ابن رسول .

قد حضر العقد لذاك أحمد
ابن ر ول وبذاك يشهد

(تحفة من فوائد كتاب الانشاء) قال عبد الحميد كاتب مروان آخر ملوك بنى أمية لو كان الوحى ينزل على أحد بعد الأنبياء لنزل على كتاب الانشاء . وقال البلاغة هى مارضيته الخاصة وفهمته العامة ومن كلامه خير الكلام ماكان خلا ومعناه بكرا (اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد) كتب إلى يحيى بن خالد فى شكر ماتقدم من إحسانك شاغل عن استبطاء ماتأخر منه جمع من الشكر والاستزادة بأبلغ عبارة وأوجز (عمر بن مسعدة كاتب المأمون) كتب اليه كتابى هذا وأجناد أمير المؤمنين على أحسن ماتكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ماأبلغه ألاترى إلى ادماجه المسئلة فى الاخبار واعفائه من الاكثار (ابراهيم الصولى كاتب المعتصم والواثق والمتوكل) كان يقول التصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من

المأمون

للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فألقته على الأرض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال ياأمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الأمور وهو عالم به ويتجاوز حد الأدب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الأيام مطالبتى لأحسنت مطالبتك ولانت على ردمالم تفعل أقدر من رد ماقد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعدعلى ماقلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر إلى مخاطبة هذا الرجل بأصغريه والنبى ﷺ يقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه والله لاوقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل ياأمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول

ماجاد بالوفر الا وهو معتذر ... ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائلة ... كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الأول العديم لايكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل أقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أما نعم فثمرة وأمالا فريحة فلما قرأها كسرى دفع له فى كل سطر الف دينار (وحكى) أن رجلا كان جارا لابن عبيد الله فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال انلى على ابن عبيدالله دينا ومعى به اشتهاد عليه شرعى فخذى الاشهاد وقدميه اليه فاذاقرأه أنفق عليك ما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة ... والبين قد جمع المشكو والشاكى
من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها ... الله وابن عبيد الله مولاكى

فمضت اليه المرأة وحكت له ماقال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك وما زال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) أن مطيع بن اقاس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده وأراد معن أن يباسطه فقال يامطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذه البيتين

ثناء من أمير خير كسب ... لصاحبه نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان يرى عطاى ... ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال مامثل الدراهم من دواء وأمرله بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا ... لامرى ولا انى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله ... الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(وقال آخر) ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى ... ماذا لقيت من الجواد الافضل
ان قلت أعطانى كذبت وان أقل ... بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فاننى ... لابد أخبرهم وان لم أسئل

(وقال آخر) لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه ... يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتى ... أم فى المعاد تجود بالانعام

(ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شىء مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه) روى عن

أحضر لمناظرته . أحمد بن المدبر فقال ارتجالا صدقنى وصدق الأقوال

ماكتبه عن أمير المؤمنين إلى بعض الخارجين يتهددهم ويتوعدهم أما بعد فان لأمير المؤمنين أناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه والسلام وهذا الكلام وجازنه فى غاية الابداع وينشأ منه بيت شعر وهو

أناة فان نغن عقب بعدها ... وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه

(وكان) يقول ماتكلت فى مكاتبتى الاعلى مايتخيله خاطرى ويجلس فى صدرى الا قولى وصار مايحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم وقولى من أخرى فانزلوه من معقل إلى عقال وبدلوه آجالا من آمال فانى ألممته بقول آجالا من آمالى بقول مسلم بن الوليد الانصارى المعروف بصريع الغوانى

موف على مهج فى يوم ذى وهج ... كأنه أجل يسعى إلى أمل

(وفى المعقل والعقال بقول أبى تمام)

فان باشر الاصحى فبالبيض والقنا ... قراه وأحواض المنايا مناهله
وان تبن حيطانا عليه فانما ... أولئك عقالاته لامعاقله
والا فاعلم بأنك ساخط ... عليك فان الخوف لاشك قاتله

(ومن رقيق شعره حين) وأطاع الوشا والعذالا

عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله تعالى عنه كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله ﷺ فبسطنا أيدينا وكنا حديثى عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام يارسول الله نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا ويتناوله اياه رواه مسلم * وقال رجل لابنه اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه وكان لقمان يقول لولده يابنى اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك فى فم التنين إلى المرفق خير لك من أن تبسطها إلى غنى قد نشأ فى الفقر * وقيل لاعرابى ما السقم الذى لا يبرأ والجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم إلى اللئيم وقال أبو محلم السعدى

إذا مارماك الدهر فى الضيق فانتجع قديم الغنى فى الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله ﷺ مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله أعطاه أو منعه

قال الشاعر: ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الانبارى: لموت الفتى خير من البخل للغنى وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شىء لوجهك قيمة فلا تلق إنسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر: إذا أذن الله فى حاجة أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضله ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس إلى الله من سأله وأبغض الناس إلى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفى هذا المعنى قيل

لا تسألن بنى آدم حاجة وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله وبنى آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق: شاد الملوك قصورهم وتحصنوا من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد: وقائلة مات الكرام فمن لنا إذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده سؤالا لمخلوق فليس بنابه
إذا مات من يرجى فمقصودنا الذى ترجيه باق فلوذى ببابه

وقال بعض أهل الفضل: لما افتقرت اصحبى ماوجدتهم لجأت لله لبانى أغنانى
واها على بذل وجهى للورى سفها فلو بذلت إلى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة قل من قيمتها فردنى ردا أقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لا شىء أوجع للاخيار من الوقوف بباب الأشرار وقال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى

بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم سوى من غدا والبخل ملء اهابه
فجردت من غمد القناعة صارما قطعت رجائى منهم بذبابه
فلاذا يرانى واقفا فى طريقه ولاذا يرانى قاعدا عند بابه
غنى بلا مال عن الناس كلهم وليس الغنى إلا عن الشىء لا به
إذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا

أيضا قوله)
دنت بأناس عن تناء زيارة
وشط بليلى عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنعرج اللوى
لأقرب من ليلى وهاتيك
دارها
(الحسن بن وهب سئل عن مبيته فقال) شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم أستيقظ الا بلبس قميص الصبح (بديع الزمان الهمدانى) الحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يصل الفؤاد كما غسل السواد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشىء وليس منه هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل امه لأمر إذا هم وسبيل ذوى الالباب فى الدخول من هذا الباب أن ينظروا فى القول إلى قائله فان كان وليا فهو للولاء وان خشن وان كان عدوا فهو للبلاء وان حسن (ومن انشاء أبى القاسم على بن الحسن المعروف بالمغربى) وصلت الرقعة فاستجفيت النسيم بالاضافة إلى لطائفها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس إلى خفة موقعها (ومن بديع انشائه) وغرقت فى هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور والله تعالى أسأل وج

وبح عتوا فى قبيح اكتسابه فكله الى صرف الليالى فانها ستبدى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا يرى النجم تيها تحت ظل ركابه فعما قليل وهو فى غفلاته
أناخت صروف الحادثات ببابه فأصبح لامال ولاجاه يرتجى ولا حسنات تلتقى فى كتابه
وجوزى بالامر الذى كان فاعلا وصب عليه الله صوب عذابه
(وقال آخر) لاتسألن الى صديق حاجة فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فإنه ماصان عرضك مايقال قليل من عف خف على الصديق لقاؤه
وأخو الحوائج وجهه مملول وأخوك من وفرت مافى كفه ومتى علقت به فأنت ثقيل
(وقال آخر) ليس جودا أعطيته بسؤال قدبهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء لم تذق فيه ذلة الترداد
(وقال آخر) لاتحسبن الموت موت البلى انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا أخف من ذاك لذل السؤال

(وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه)

قنعت بالقوت من زمانى ۞ وصنت نفسى عن الهوان ۞ خوفا من الناس أن يقولوا
فضل فلان على فلان ۞ من كنت عن ماله غنيا ۞ فلا أبالى إذا جفانى
ومن رآنى بعين نقص ۞ رأيته بالتى رآنى ومن رآنى بعين تم ۞ رأيته كامل المعانى
والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وماأشبه ذلك)

قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أوردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال ﷺ تهادوا تحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال ﷺ الهدية مشتركة وقال ﷺ من سألكم بالله فأعطوه ومن استغاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها ۞ وفى الأثر الهدية تجلب المودة إلى القلب والسمع والبصر ۞ ومن الامثال إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل مااسترضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى ﷺ انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله ﷺ هدية إلى عمر فردها فقال ياعمر لم رددت هديتى فقال عمر رضى الله تعالى عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيئا من الناس فقال ياعمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فأما إذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله ﷺ يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال فى نشر المهادة طى للعادة

(ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم بمن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذربها)

أهدى إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين وإستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقل سبحان القادر على جميع الاضداد وأهدى ملك الروم إلى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له مايكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ماأعز الاشياء

البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لايمسح وجهه الاهيادب الغيوم وصارم لايخلى غمده الا بافراد النجوم ضياء الدين بن الاثير الجزرى) ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها إلى العباس وهى خير دولة أخرجت الدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لاتهرم وأنها لاتزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذى لايصرم (وله فى القلم) فهو المقلب الجواد المضمر وإذا أخذت السوابق فى احضارها بلغ الغاية وما أحضر واله لون تحقق فيه القول النبوى لو جمعت الخيل فى صعيد لسبقها الأشقر (ومن انشاء القاضى تاج الدين بن الأثير) والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهى للحصون من أكد الخصوم وإذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خاق فى آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين وإذ نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى إلى

لوغى فتكلم وماأقيمت صلاة حرب عند حصن الاركان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم ولقد سهوت عن الصافى وكان فى هذا الفن أمة

عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائة فروة سمور (وأهدت قطر الندى إلى المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة في عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشي قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب بن الليث الصفار إلى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلي فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عودة هندي أربعة آلاف ألف درهم * وأهدت ثريا بنت الأوباري ملكة أفرنجة وما والاها إلى المكتفي بالله في سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون في كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الأطيار الافرنجية إذا نظرت إلى الطعام والشراب المسمم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة في قدر البغل وآذانها أشبه آذان البغل وهي مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها * وأهدى قسطنطين ملك الروم إلى المستنظر بالله في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدي كانت أديبة شاعرة فعزم المهدي على شرب دواء فأنفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال كتبت اليه تقول

إذا خرج الإمام من الدواء ... وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب ... بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتي قد أنفذته ... اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابي إلى عضد الدولة إسطرلابا في يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا ... في مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى ... سمو قدرك عن شيء يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد ... أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

واهدى رجل إلى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت اوقع وأنفع * وأهدى مرة أبو الهذيل إلى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيء بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التي أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجه إلا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

ان امرأ أهدى إلى صنيعة ... وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثوري اذا أردت ان تتزوج فاهد للام وكان سفيان يروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من اهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثياب من ثياب مصر وعنده قوم فذكر والخبز فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب اما في ثياب مصر فلا * وكتب الحمدوني

الخليفة وعند معز الدولة ابن بويه وكان متشددا في دينه واجتهد معز الدوله أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله في رسائله والصابي عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابيء ان صاحب بن عباد قال ما بقي من أوطاري وأغراضي الا وأملك العراق وأتصد ببغداد وأستكتب الصابيء ويكتب عني وأغير عليه فقال الصابيء وبغير علي وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به إلى أبي الخير عن رقعة وصلت تتضمن أنه أهدى اليه جملا وصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة يعجز عنها عبد الحميد في بلاغته وسحبان في خطابته وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا أن الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جملا جعلته لصفتك جملا وكان المعيدي ان تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر عن القد يعجب العاقل من حلول الحياة به ومن تأتي الحركة فيه لانه أعظم مجلدة قد طال الكلا فقده وبعد بالمرعى عهده لم ير القت الا نائما

إلى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال .

حجوا مواليك يابرهان واعتمروا ... قد أتتك الهدايا من مواليك
فأطرفيني بما أطرفوك به ... ولا تكن طرفتي غير المساويك
ولست أقبل الاماجلوت به ... تبيتيك وما رددت فيك

وكتب بعضهم إلى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول .

تفضل بالقبول على أنى ... بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم إلى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة باطاف العبيد للسادة وقدر الأمير يجل عما تحيط به المقدرة وفى سودده مايوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ماحضر علما بأنه لا يستكثر ماجل ولا يستقل لعبده ماقل فإن رأى أن يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول .

رأيت كثير مايهدى اليكم ... قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة أن الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الأعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك)

(وأما العمل) فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب يكرم الله تعالى وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق ۞ وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل ۞ وعن على رضى الله تعالى قال جاء رجل الى النبى ﷺ فقال يارسول الله ماينفى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى ۞ وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء الاحيث يجعل نفسه ... فنى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لاشيء أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه ۞ وقيل من جد وجد وأنشدوا فى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد فى أمر يحاوله ... واستصحب الصبر الافاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده ... تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله

ولا عرف الشعير إلا حالما وقد كنت ملت إلى استبقائه لما تعرفه من محبتى للتوفير ورغبتى فى التشمير فلم أجد فيه مستبقى لبقاء ولا معدا لعناء لأنه ليس بانثى فتلد ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت اذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فأنشدنى وقد أضرمت النار وحددت الشفار .

أعيذها نظرات منك صادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

واست بذى لحم فاصبح للاكل لأن الدهر قد أكل لحمى ولا بذى جلد يصلح للدباغ لأن الأيام قد مزقت أدمى ولا بذى صوف يصلح للغزل لأن الحوادث قد حصت وبرى الا أن تطالبنى بذحل أو بينى وبينك دم فوجدته صادقا فى مقالته ناصحا فى مشورته ولم أعلم من أى أمريه أعجب من مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع عدم مثله أم من هديتك اياه للصديق مع خساسة قدره ويا ليت شعرى ماكنت مهديا لو أنى رجل من عرض الكتاب كابى على وأبى الخطاب ماكنت مهديا الا كلبا أجرب أو قردا أحدب والسلام (وله من رسالة) هو أخفض قدرا ومكانه وأظهر عجزا مهانة من أن يستقبل به قدم فى

فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الأركان إلى الله والنية سعى القلوب إلى الله والقلب ملك والأركان جنوده ولا يحارب الملك إلا بالجنود ولا الجنود إلا بالملك * وقيل الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم والعلم كله هباء إلا موضع العمل والعمل كله هباء إلا موضع الاخلاص هذا هو العمل (وأما الكسب) فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور فى الصحارى فإذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فإذا سمعه عابد بشىء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول إنى لا أجد فى داود عيبا إلا أنه يأكل من كسبه فمنذ ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وسار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله ﷺ جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله ﷺ أن الله يحب العبد المحترف وقال ﷺ أن الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب من قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأله رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده أن الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة * وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران أن ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمق أن كان لهم مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سلمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل أن أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهينى وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرزاق وانى لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها فى أهل ولا مال (وأما جاء فى العجز والتوانى) فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده ويقضى إله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله : على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزع وعوده قلة الصبر ونساه ما فى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغد وبركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فإنه لا سبيل إلى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله تعالى عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة وتحب الهلكة ومن لم يوقب يجد وافضى الى

الفساد

مطاولتنا وتطمئن له ضلوع فى منابذتنا وهو فى نشوزه عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة والظلامة المردودة وكان له عبد أحبه بمن وكان يهواه وله فيه المعانى البديعة فمن ذلك قوله فيه

قد قال بى وهو أسود الذى ببياضه استعلى علو الخائن
ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى أن قد أفدت به مزيد محاسن .
ولو ان منى فيه خالا زانه ولو ان منه فى خالا شاننى

(الصاحب بن عباد) من بلاغاته المخترعه أن قيل له ماهو أحسن السجع قال ماخف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا * وسئل ابن العميد عن بغداد فقال بغداد فى البلاد كالاستاذ فى العباد (وله جواب كتاب) وصل كتاب مولاى فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح وواسطته أنفس من واسطة العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك (ومن شعره) يرثى كثير بن أحمد الوزير

يقولون قد أودى كثير ابن أحمد وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا فمثل كثير فى الرجال قليل

(القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم) علم المتقدمين والمتأخرين وزير السلطان صلاح الدين بن أيوب

الفساد * وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير * وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته ... وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى ... فانكما لابد أن تلدا الفقرا

(وقال آخر)

توكل على الرحمن فى الأمر كله ... ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزة ... جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروءة فقال العفة والحرفة * وكان أيوب السختيانى يقول يافتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا إلى القوم يعنى الأمراء وقال رجل للحسن انى أنشر مصحفى فاقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك ومالابد منه ومر رحمه الله تعالى باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولايحب من يأكل ولايعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ماأحسن الليل مركبا ... وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها ... فاهو اله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدعى جليد القسمه ... ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه ... ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطاه الغنى ... ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

(وقال آخر) فلا تركن إلى كسل وعجز ... تحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للأمانى المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر * وقال لقمان لابنه يابنى إياك والكسل والضجر فانك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق (وقال أبو العتاهية)

إذا وضع الراعى على الأرض صدره ... فحق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الأفعال (وأما التأنى) فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب وقد قيل من نظر فى عواقب الأمور سلم من آفات الدهور * ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله ﷺ من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لايخالط شيئا الازانه ولا يفارق شيئا إلاشانه * وفى التوراة مرفق رأس الحكمة وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا التأنى فيما لايخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الأمل * وقال بعض الحكماء إذا شككت فاجزم وإذا استوضحت فاعزم * وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

الملقب بالملك الناصر تمكن منه غاية التمكين وبرز فى صناعة الانشاء على المتقدمين قال ابن خلكان فى تاريخه أخبرنى أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله إذا جمعت ماتقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها (وذكر) ابن خلكان فى تاريخه أيضا أن العماد الكاتب قال فى الخريدة هو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة مدينة عسقلان وولى أبوه القضاء ببيسان فلهذا نسبوه اليها (وقال الفقيه عمارة اليمنى فى كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية فى ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التى لا توازى بل هى اليد البيضاء التى لا تجازى خروج أمره إلى والى الاسكندرية باحضار القاضى الفاضل إلى الباب واستخدامه بحضرته فى الديوان فانه عروس الدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها فى السماء (وتوفى الفاضل فى ليلة الاربعاء سابع ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن فى تربة بسفح المقطم فى القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان القاضى الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فن انشائه المرقص المطرب قوله)

وقالوا التأني حسن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأني فبماذا يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها درك خير من عجلة فى عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح * وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب وأن تصحب هذه الصفة أحد إلا أصحب الندامة وجانب السلامة

(وأما الصناعات والحروف وما يتعلق بها) فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه * وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان إدريس عليه السلام خياطا * ووقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له ياخياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط ودقق الدروز وقارب الغروز فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافأة * وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع * وفى الحديث أكذب أمتى الصواغون والصباغون وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله ﷺ يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وإنما أهلكت القرون الأولى لأنهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الأرذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل إبراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا أن نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لأعرابى هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان أردشير بن بابك لا يرتضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو أن يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لأن مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحاكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم

(قال أبو العتاهية)

ألا إنما التقوى هى العز والكرم ... وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة ... إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه فى هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الأول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله) روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة إلا والذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم ﷺ وكان معاوية رضى الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت وكانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقال ﷺ ان حقا على الله أن لا يرفع شيئا من هذه الدنيا إلا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية إلى ذى الكلاع الحميرى بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه

وقد كان يقال ان الذهب الابريز لاتدخل عليه آفة وأن يد الدهر البخيلة به كافة وأنتم يابنى أيوب أيديكم آفة نفائس الأموال كما أن سيوفكم آفة نفوس الأبطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أداهم أو قلدتم أيامه صوارم من الكحل وهو لص عوهبتم شموسه وقاره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس وما تم فيها لاعلى أموال مآتم والجود فى أيديكم خاتم ونفس حاتم فى نفس ذلك الخاتم (ومن انشائه فى كاحل) كأنه غاسل يدخل إلى انسان العين بحنوط من كحله الملعون لعلة المنون ويدرجه فى كفن الحرقة السوداء التى يلبسها سواد العيون ينقل العين إلى بياض الثغور ويسلبها سوادا لها وما برحت عصيه مردودة ولديها عصا العاقد انتهى إلى فوق ما يضرب به المثل إذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من أكابر اللصوص وسموا الكحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجحد معجز القميص اليوسفى فلو مروا به على ناظر انقرحت جفناه وهو من الذين إذا رفعوا أميالهم فانما هى اشمس للعيون متداولة وإذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة أو بالرجم ممن أولج الميل فى المكحلة (ومن انشائه سقى الله

ثم

ثم بعد ذلك أشرف شرافة من كوة له فخر من حوله القصر سجدا ثم رأيته من بعد ذلك وقد هاجر إلى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الأبيات

أف للدنيا إذا كانت كذا ... أنا منها فى بلاء وأذى
ان صفا عيش امرىء فى صبحها ... جرعته ممسيا كاس الردى
ولقد كنت إذا ما قيل من ... أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما ... صرت فى غيره بكيت عليه

(ومثله) وما مر يوم أرتجى فيه راحة ... فأخبره الا بكيت على أمس

(ومن كلام ابن اعرابى)

عن الأيام عد فعن قليل ... ترى الأيام فى صور الليالى

وقال رضى الله عنه ما قال الناس لشىء طوبى الا وقد خبأ الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب أنا فلان ابن فلان الملك عشت الف عام وبنيت مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمرى إلى أن بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فمت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الأرض أغنى منه أماته الله كما اماتنى، وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الاموال ماقدر لنفسه أنه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم الف درهم على نفسه انه يكفيه فروى بعد مدة وقد احتاج إلى باع حلية مصفحة وأنفقها . وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فرشها سمور وبين يديه كانون فضة يبخر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك على لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

ألا يا دار لا يدخلك حزن ... ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف ... إذا ماضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقال ياعبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان (وقال أبو العتاهية)

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما ... بلاغك مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله تعالى عنه بين يدى ابن زياد فى الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت لهكم كان بين أول الرؤس وآخرها اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها ... لا تبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى ... ولقد كان آمنا مسرورا

ثراه) والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المجهور والحر وصاليه فى هذا النحو جار ومجرور والمهامه قد نشرت فيها ملاء السراب وزخر فيها بحر ماء وارد لغير رشدة على غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن فى أكثر من جوع صفين الا أننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه العيون وهو كالحاير يغترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطىء نقرة مقتلة وهو مع هذا قليل كأنه مما جادت به الآماق فى ساحات النفاق لا فى ساعات الفراق فيالك من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يبعد ماوصف به أهل الجحيم فى قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينه وبينهم التراب يجهز للدفن ونمشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد وفى غير من قد وارت الأرض فاطمعه على أنه لو كان دمعا لما بل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان (ومن انشائه إلى أن يرد كتب العسكر وأعلامها من مدات الفاته وروس العيدا قطعات هيزلته (ومنه) فبينت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الاسنة وطارت اليهم

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسط قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله تعالى عنه

تاه الأعيرج واستعلى به البطر فقل له خير ما استعملته الحذر أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر سالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه إلى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد أن كان ملك الأقطار الأرض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء. وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث إلا أنه من أهل الادب إذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش مالا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ماسد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى إلى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل إلى إيصال رقعة اليه مكتوب فيها :

ألا قل للوزير فدته نفسى مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضنك عيش ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر إلا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته إلا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر : يامعرضا عنى بوجه مدبر ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة أو غاية إلا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين إذا رأونى مقبلا ابشوا إلى ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كأن حديثهم ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

وقال آخر فى معناه يامنزلا عبث الزمان بأهله فأبادهم بتفرق لايجمع أين الذين عهدتهم بك مرة كان الزمان بهم يضر وينفع أيام لايغشى لذكرك مربع إلا وفيه للمكارم مرتع ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقى الذين حياتهم لاتنفع

وقال إسحق بن إبراهيم الموصلى :

وانى رأيت الدهر منذ صحبته محاسنه مقرونة ومعايبه
إذا سرنى فى أول الامر لم أزل على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم : ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه بعضا فيدفع معور عن معور
خلف الزمان ليأتين بمثلهم حنثت يمينك يازمان فكفر

وكان يقال إذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر

اعقبان الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الأعنة ونصوبت عيون السمر إلى قلوبهم كأنما تطالب سوداها وقصدت أنهار السيوف صدورهم لتروى أكبادها (ومنه) وما أحسن الأقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت خرسا الا قبل أن ينفث سيدنا فى روعها رائع أهدا الصواب ولا أنها اضطجعت إلا ليبعثها ماينفخ فيها من روحه من مرقدها ولاسودت رؤسها الا لانها أعلام عباسية وتناولتها الخضرة بيدها لاجرم أنها تحامى الحى وتسفك وتحقن دما وتشيح بها يده عنانا وترسلها فتعلم الفرسان ان فى الكتاب لفرسانا تقوم الخطباء بما كتبت تعلم الألسنة أن فى الايدى كما فى الافواه لسانا (قلت ومن) مخترعاته قوله وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقوقه ويثمر مايجب من شكر فروعه وعروقه كنت أفضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الألسنة عن الكلام (ومن إنشائه فى وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه) نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا

الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر إلا فقيرا يكابد فقرا أوغنيا بدل نعمة الله كفرا أوبخيلا اتخذ بحق الله وقرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن فى زمان إذا ذكرنا الموتى حييت القلوب وإذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول يا ليتني مكانه (ويقال) لا يقاوم عز الولاية بذل العزل

(بيت)

ما من مسىء وان طالت اساءته   الا ويكفيك يوم من مساعية

(وقال الأمين) يا نفس قد حق الحذر   أين المفر من القـــدر   كل امرىء مما يخا

ف ويرتجيه على خطر   من يرتشف صفو الزما   ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم) وقائلة ما بال وجهك قد نضت   محاسنه والجسم بان شحوبه

فقلت لها هاتي من الناس واحدا   صفا وقته والنائبات تنوبه

(والأمير أبى على بن منقذ)

أما والذى لا يملك الأمر غيره   ومن هو بالسر المكتم أعلم   لئن كان كتمان المصائب مؤلما

لاعلانها عندى أشد وأعظم   وبى كل ما يبكى العيون أقله   وان كنت منه دائما أتبسم

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وايم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا إلى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد   وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا إلى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الأشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه ﷺ به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبى ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله ﷺ النصر فى الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر فى موطن طلباته والتثبت فى حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أوكاد وفات المستعجل غرضه أوكاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين إلى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى الا أن قال

صبر على مضض الادلاج فى السحر   وفى الرواح إلى الطاعات فى البكر   إنى رأيت وفى الأيام تجربة

للصبر عاقبة محمودة الأثر   وقل من جد فى أمر يؤمله   واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الامال ويقبضها مده وجزره يربى النبات حجره ويحيى مطلقه الحيوان ويجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوى حريرها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله عز وجل وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا الابانة عن لطائف الله التى حققت الظنون ووثقت بالرزق المضمون أن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعـــة وتبعده من الإضاعة وتتعرف على ما يصرفك فى الطاعة وتشهر ما أورده البشير من اليسرى بأبانته وتمده بايصال رسمه منها على مادته (ورسم لى فى الايام المؤيدية وأنا منشى الديوان الشريف المؤيدى سنة تسع عشرة وثمانمائة ان أنشىء رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ممن تقدمنى من المنشئين بالديار المصرية حتى أن المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المسطرة ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان

خفظتها منه وألزمت نفسي الصبر فى الأمور فوجدت بركة ذلك وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال ﷺ إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن أنس بن مالك قال قال النبى ﷺ الضرب على الفخذ عند المصيبه يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الأولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها * وروى عن بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عنى خمسا ثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحى أحدمنكم إذا سئل عن شىء وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد إذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فى حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى فى الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله ﷺ غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعنى جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء * وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال بينما رسول الله ﷺ يصلى عند الكعبة وابو جهل واصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال ابو جهل لعنه الله ايكم يقوم إلى سلا الجزور فيلقيه على كتفى محمد إذا سجد فانبعث اشقى القوم فأخذه واتى به فلما سجد ﷺ وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبى ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمه رضى الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى ﷺ الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضى الله تعالى عنه والذى بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لأجل غفران الذنوب لأن فيها كفارة السيئات ورفع الدرجات وروى عن رسول الله ﷺ انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعا فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى إسرائيل لم يكن لها إلا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت امرها إلى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى أزالته فلم يقدر على ذلك إلى أن أتى حبرا من أحبار بنى إسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء إلا تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لأنها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر لها الله فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا إذا توالت أعقبها الفرج والفرج عاجلا ومن

ظهور آية النيل الذى عاملنا فيه بالحسنى وزيادة واجراه لنا فى طرق الوفا على اجمل عادة وخلق اصابعه ليزول الاوهام فأعلن المسلمون بالشهادة كسر جسره فأمسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا واتبعناه بنوروز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤبد مكسورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وارشفها ريقه الحلو فمالت اعطاف غصونها إليه وشبب جريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية إلى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بأم دينار وقلنا انه صبغ بقوة لما جاء وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته تتردد فى الآثار وعمته ابركة فأجرى سواقى مكة إلى أن غدت جنة تجرى من تحتها الانهار وحضن مشتهى الروضة فى صدره حنا عليها حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمأ زلالا
ألذ من المدامة للنديم
وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الأبيات وسقى الأرض سلافته الخمرية بخدمته محلو النبات وأدخله إلى جنات النخيل والاعناق فالق النوى والحب فأرضع جنين الحب وأحياله أمهات العصف والاب وصافحته كفوف

أحسن

أحسن ماقيل فى ذلك من المنظوم

وإذا مسك الزمان بضر   عظمت دونه الخطوب وجلت   وأتت بعده نوائب أخرى
سئمت نفسك الحياة وملت   فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى   فالرزايا إذا توالت تولت
وإذا أوهنت وجلت كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشر الخارجي أن الأمور إذا استدت مسالكها   فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لاتيأسن وان طالت مطالبه   اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

(ولزهير بن أبي سلمى)
وثلاث يعز الصبر عند حلولها   ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها   وفرقة اخوان وفقد حبيب

(وقال بعضهم) باظهار التجلد للعدا   ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
اما تنظر الريحان يشم ناضرا   ويطرح فى البيدا اذا ماتغيرا

(ولابن نباتة) صبرا على نوب الزما   ن وان أبى أبى القلب الجريح
فلكل شيء آخر   إما جميل او قبيح

(وقال أبو الاسود وأجاد) وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف   تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والأيام كما ترى   رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ماجوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الأمور بمثل الصبر

(وقال نهشل)
ويوم كأن المصطلين بحره   وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبراً جميلا وانما   تفرج أبواب الكريهة بالصبر

(وقال ابن طاهر)
حذرتني وذا الحذرى * ليس يغنى من القدر   ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر   نفس يانفس فاصبرى * فان الصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لاتدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لادواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل الدهر أدبني والصبر رباني والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الأيام تجربة   حتى نهيت الذى قد كان نهاني

(وما أحسن ما قال محمود الوراق)
انى رأيت الصبر خير معول   فى النائبات لمن أراد معولا   ورأيت أسباب القناعة أكذب
بعرى الغنى فجعلتها لى معقلا   فاذا نبابى منزلا جاوزته   وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شيء على تركته   فيكون أرخص مايكون اذا غلا

(وقال بعضهم) اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة   فافرع لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة   فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

(وقال بعضهم) وما مسنى عسر ففوضت أمره   الى الملك الجبار الا تيسرا

(وما أحسن ماقيل) الدهر لايبقى على حالة   لابد أن يقبل أو يدبرا
فان تلقاك بمكروهه   فاصبر فان الدهر لايصبرا

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض

الموز فختمتها بخواتمه العقيقية وليس الورد تشريفه وقال أرجو ان تكون شوكتي في أيامه قوية ويبقى الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ماكان له فى ذمة الرى من الديوان ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لايرد وليس شربوش الاترج وترفع الى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الأرض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول معالم الشنبر وعلم بافلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بمخلق بشائره وأشار بأصبعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ماتفقه واتقن باب المياه ومد شفه أمواجه الى تقبيل فم الجسر وزاد بسرعته استحل المصريون زائدة على الفور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشبابه وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه وصان

الرجال وقدزاد هبي وكادت نفسي ان تزهق وضاقت على الأرض بما رحبت وإذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل على ورأى ماأنا فيه من الكآبة فقال ماحالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه على رضى الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لاتدبر وسيف لايكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر فى الدنيا وأجمله عند الإله وأنجاه من الجزع

من شد بالصبر كفا عند مؤلمة ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدنى فقد وجدت راحة فقال مايحضرنى شىء عن النبي ﷺ ولكنى أقول

أما والذى لايعلم الغيب غيره ومن ليس فى كل الامور له كفو

لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه لقد يجتنى من بعد الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجد أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك فى الكوفة ثم أخرجت فى ذلك اليوم من السجن وقد حصل لى سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع فى نفسى أنه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لى يوقظنى ويؤدبنى ويسلينى ۞ وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان فى هذا القوم الذين وقفوا على صديقا لى يعتقد فى الشجاعة والجلادة وهو يرقبنى بعينه فاخشى ان ضجيت يذهب ماء وجهى عنده ويسوء ظنه بى فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لأجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه ويحمد منه الصبر مما يصيبه

فمن قل فيما يتقيه اصطباره لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله تعالى عنها ياعائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفنى الا ما كلفوا به فقال عزوجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وانى والله لأصبرن كما صبروا فان النبي ﷺ لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضى الله تعالى عنه هم نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذى صبروا عليهم حتى سماهم الله تعالى اولى العزم فأقول ذكر ما صبروا عليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) لقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون انه قد مات ثم يعود ويخرج إلى قومه ويدعوهم إلى الله تعالى ولما أيس منهم ومن إيمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يابنى انظر الى هذا الشيخ وأعرفه ولايغرك فقال له ابنه ياأبت مكنى من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى مايفعل بى عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرنى الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه لن يؤمن من قومك الا من آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه المياه أنجى فيه أهل طاعتى وأخرج أهل معصيتى قال يارب وأين الماء قال أنا على كل شىء قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا استهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها

وجففها

أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله فما شعر إلا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله وامست واوات دوائره على وجنات الدهر عاطفة ونقلت أرداف أمواجه على خصور الجوار فاضطربت كالخائفة ومال شبق النخيل اليه فاثم ثغر طلعه قبل سالفه وأمست سود الجوارى كالحسنات فى غرة وجناته وكلما زاد زاد الله فى حسناته فلا فقير سدا الا حصل له من فيض نماء فتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين اصبع فنشر أعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الخرير زجره ورام أن يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدى وكسره وقد أثر ذا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها برا وبحره وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصددا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بها فى كل . وقت مشنفا ولا برح من نيلها المبارك وإنعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا (قلت)

وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبى على من عصانى فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم إلا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء وعلى وجه الأرض بأمطار وقذفت الأرض كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل فى الأرض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفى تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لأهل التفسير ليس هذا موضع شرحه بسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه (وأما إبراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التى كانوا يعبدونها لم يروا فى قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا إلى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب احرقه فلم يتخلف منهم أحدا وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجبال وسدوا ابواب ذلك الحائز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شاهقا بنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا إبراهيم على رس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه إلى السماء مودعا الله تعالى وقال حسبى الله ونعم الوكيل قيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام قال ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الأرض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ماأحرقت النار غير كتافه أقام فى ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم هلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره إلى الله تعالى فى ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع إلى ذبحه من غير اهمال لامهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة فى كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته إلى طاعة مولاه وصبره على ماقدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها أن الله تعالى لما ابتلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك ياأبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ياأبت أشدد وثاقى كى لااضطرب واجمع ثيابك حتى لايصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت على واذا لقيت أمى فاقرأ السلام عليها فأقبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يابنى على ماأمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال ياأبت اطعن بها طعنا وقال السدى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لاتعمل فيها السكين شيئا فلما ظهر فيهما أمر التسلم نودى أن ياإبراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلى بفراق ولده غاب

تقدم قولى أن الشىء يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك هنا رسالتى البحرية التى كتبت بها إلى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدمامينى فسح الله فى أجله من القاهرة المحروسة إلى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولى اليها من ثغر طرابلس الشام وقد غصت على أنياب الحرب بثغرها من أهوال برها وبحرها وذلك فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة (وهى) يقبل الأرض التى سقى دوحها بنزول الغيث فأثمر الفواكه البدرية وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية وجرى لسان البلاغة لى بثغرها قسما على العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى
كأنك فى فم الدهر ابتسام

فأكرم به مورد فضل مابرح منهله للعذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ماثبت للباطل به حجة وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة كنت على الحقيقة ابن حجة وأفق معال بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بدون النجوم وعيدان عرشه تجول به فرسان الفصاحة من بنى مخزوم وثالثه مالفرسان الفقراء

بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لأبيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره إلى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ٭ ولنذكر شيئا مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لأجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لأجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم إلى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم إلى زرعه وجناته فأحرقوها وبعث بعضهم إلى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس إلى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال ياأيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ماهذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم إلى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء إلى أن بقى أمعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره إلى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها إبليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ فجاءته فقال لها ان شفانى الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمرينى ان أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لاطعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ماقيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وماشكا إلى مخلوق مانزل به عاد الله تعالى بالطافه عليه فقال تعالى (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا) وأفاض عليه من نعمة ماأنساه بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه تحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم صبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم ٭ وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا (ربما) شنف السمع من نجح هذه الإشارة واتحف النفع فى نهج هذه العبارة ماروى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك ياهذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا

والا باقى فى هذا الميدان مجال واذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال وينهى بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وثمر ثلاثية ما لسجع المطوق فى الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالاثار

وابرح مايكون الدهر يوما
إذا دنت الديار من الديار

ووصول المملوك إلى مصر محتميا بكناناتها وهو بسهام البين مصاب معذور لما شاهده من المصارع عند مقابلة الفرسان فى منازل الاحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام بأسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين أن لا يبرح من سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى
فكيف بالبين والغراب

(يامولانا) لقد قرعت من هذا الثغر بأصابع السهام وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعد ماشعر به البين نظام وكسرت الحرب فى ثناياه من أنياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولا ناب وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لئلا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد وفسد انسجام تلك الابيات

معى

منى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقي فأخذني حزن شديد وبكاء مفرط أجرى الله تعالى على لساني فقلت إلهي اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتني غشية وأنا بين اليقظان والنائم إذ أتاني آت فقال لي قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شيء عن شيء يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ وأنت عالم بخفيات الأمور ومحصي وساوس الصدور وأنت بالمنزل الأعلى وعلمك محيط بالمنزل الأدنى تعاليت علوا كبيرا يا لمغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت إلى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانصرف بقصد الحجاز ، وفيما روي عن الله تعالى أنه أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام يا داود من صبر علينا وصل إلينا وقال بعض الرواة خلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف في خرابها إذ رأيته مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الأبيات

يا من ألح عليه الهم والفكر — وغيرت حاله الأيام والغير
أما سمعت لما قد قيل في مثل — عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب إذا أحداثها طرقت — فاصبر فقد فاز أيام بما صبروا
وكل ضيق سيأتي بعده سعة — وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما) حبس أبو أيوب في السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب إلى بعض إخوانه يشكو إليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح وإذا عجزت عن الخطوب فمن لها أن الذي عقد الذي انعقدت به
عقدت المكاره فيك يملك حلها صبرا فإن الصبر يعقب راحة ولعلها أن تنجلي ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول .

صبرتني ووعظتني وأنا لها — وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها — كرما به إذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

إذا ابتليت فثق بالله وارض به أن الذي يكشف البلوى هو الله اليأس يقطع أحيانا بصاحبه
لا تيأسن فإن الصانع الله إذا قضى الله فاستسلم لقدرته فما ترى حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر) قال الثوري رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب . وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فإن صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويل وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبي إذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكي (وقيل) تزوج مزن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها يا هذه إنما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بحظ في ذلك فإن كان فرح دعوني وإن كان حزن دعوك وقال وهب بن منبه إذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الأنبياء وقال مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته إلا ذكرت ذنوبي فاستصغرته وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب

ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف في ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الا من كان مسعودا ووقع غالبها في القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها المملوك في هذه الواقعة الا مكرها لا بطل وكم قابلت لسارية العزم لما كشف لي عن مضيق سهلها يا سارية الجبل ولم يطلق المملوك عروس حماته إلا جبرا أظهروا به كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره (يا مولانا)

بوادي حماة الشام من أيمن الشط
وحقك تطوى شقة الهم بالبسط .
بلاد إذا ماذقت ... مائها .
أهيم كأني قد تملت باسفنط .
ومن يجتهد في أن الأرض بقعة .
تشاكلها قل أنت تجتهد مخطىء .
وصوب صديتي ماؤها وهواؤها .
فإن أحاديث الصحيحين ما تخطى
بعصمها أن دار ملوى سوارها
فما الشام بالخلخال أو مصر بالقرط
تنظم بالشطين در ثمارها
عقودا لها العاصي وأثناه كالسمط

الله تعالى لأهل البلاء. وروى أبو عتبة عن النبي ﷺ قال إذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا ۞ وموسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه وأضلاعه وكبده ملقاة على الأرض فوقف متعجبا. فقال أي رب عبدك ابتليه بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لأبلغه تلك الدرجة (وكان) عروة بن الزبير صبورا حين ابتلي ۞ وحكي أنه خرج إلى الوليد ابن يزيد فوطىء عظما فما بلغ إلى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له شرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عما ذكرها الله تعالى فأحمي له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو لقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك إذ اتاه خبر ولده أنه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة ۞ وقدم على دواب وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت إلى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الدنيا من أعظم مصيبة منه ۞ وقيل الحوادث الممضه مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه

ما هذه الايام الا منازل ... فمن منزل رحب إلى منزل ضنك ... وقد دهتك الحادثات وانما
صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك ... أما في نبي الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوس عن الظلم والافك
أقام جميل الصبي في السجن برهة ... قال به الصبر الجميل إلى الملك

(وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل)

قالوا حبست فقلت ليس بضائري ... حبسي وأي مهند لا يغمد ... والشمس لولا أنها محجوبة
عن ناظريك لما أضاء الفرقد ... والنار في أحجارها مخبوءة ... لا تصطلى ان لم تثرها الا زند
والحبس مالم تغشه لدنية ... شنعاء نعم المنزل المتودد ... بيت يجدد للكريم كرامة
ويزار فيه ولا يزور ويحمد ... لو لم يكن في الحبس الا انه ... لا تستذلك بالحجاب الأعبد
غر الليالي باديات عود ... والمال عارية يعار وينفذ ... ولكل حي معقب ولربما
أجلى لك المكروه عما يحمد ... لا يؤيسنك من تفرج نكبة ... خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فإن اليوم يعقبه غد ... ويد الخلافة لا تطاولها يد

قال وأنشد اسحق الموصلي وإبراهيم بن المهدي حين حبس.

هي المقادير تجري في أعينها ... فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الأصل ترفعه ... إلى العلاء ويوما تخفض العالي

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضي عنه وقال إبراهيم بن عيسى الكاتب في إبراهيم بن المدبر حين عزل

وراح بنقش النبت يمشي على بسط ۞ لوينا خلاخيل النواعير فالتوت ۞ وأبدت لنا دورا على ساقط البسط
سقى سفحها ان قل دمعي سحابه ۞ مطنبة بالدمع منهلة النقط
ويا أسطر النبت التي قد تسلسلت ۞ بصفحتها لازلت واضحة الخط
ولا زال ذاك الخط بالطل معجما ومن شكل أنواع الازاهر في ضبط
لويت عناني في حماها من اللوى وهمت بها لا بالمحصب والسقط
ولذعناق الغفرلي بفنائها وفي غيرها لم أرض بالملك والرهط
منازل أحبابي ومنبت شعبتي وأوطان أوطاري بها روضا سخطي
نعمت بها دهرا ولكن سلبته. برغمي وهذا الدهر يسلب ما يعطي.
وقد جاء شرط البين أني أغيب عن. حماها لقد أوفى فؤادي بالشرط.
وحط على الدهر عمدا وشالني. إلى غيرها صبرا على الشيل والحط.
وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها منظمة لكن قضى الدهر بالفرط

لهن أبا إسحق أسباب نعمة ... مجددة بالعزل والعزل أنبل

شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا ... لأنك يوم العزل أعلى وأفضل

(وقال آخر) قد زاد ملك سليمان فعاوده ... والشمس تنحط في المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمي لمعزول الحمد لله الذي ابتلى في الصغير وهو المال وعافى في الكبير وهو الحال

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ... ولكن عارا أن يزول التجمل

وعار المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعوده وسئل بزرجمهر عن حاله في نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أني قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثاني أني قلت لم أصبر فما أصنع الثالث أني قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أني قلت لعل الفراغ قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والخمسون ما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب)

(فما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل وقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد وقوله تعالى حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال لو كان العسر في حجر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهي الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أفضل عبادة أمتي انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا قال النبي ﷺ أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق وقال أبو حاتم

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاقت بما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرسلت في مكامنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب

(وقال آخر) عسى الهم الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان ... ويأتي أهله النائي الغريب

(وقال آخر) تصبر أيها العبد اللبيب ... لعلك بعد صبرك ما تخيب

وكل الحادثات إذا تناهت ... يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن العباس)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج

(وقال آخر) لئن صدع البين المشتت شملنا ... فللبين حكم في الجموع صدوع

وللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللشمس من بعد الغروب طلوع

وإن نعمة زالت عن الحر وانقضت ... فإن لها بعد الزوال رجوع

فكن واثقا بالله واصبر لحكمة ... فإن زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة مما حصل له الفرج بعد الشدة)

روى ان الوليد بن عبد الملك كتب إلى صالح بن عبد الله عامله المدينة المنورة أن أخرج

لتبنع عيني ذلك الشكل بالنقط وقد سار يمشي الهم يجرى بنزعة فياليته لوكان في مشيه يبطي وأصبح نظمى راجعا بي إلى ورا كأني في الديوان أكتب بالقبطي

(يامولانا) وآبثك ما لقيت من أهوال هذا البحر وأحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل إلى دوائر اللج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت إلى الجواري الحسان وقد رمت أرداف قلوعها وهي بين يديه لقلة رجالها تسبى فتحققت أن رأي من جاء يسعى في الفلك جالسا غير صائب واستصوبت هنا رأي من جاء يمشي وهو راكب وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ بالبحر سبيلا

وكم قلت من شدة الظمأ يا ترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة

وهل أبا بكر نحو النيل منشرحا ... وأشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حين متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت وأوات دوائره مقامع فنصبتنا للغرق لما استوت المياه والأخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت موالينا وهي جارية وغشيهم منها ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقمها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها لفقد رجالها

الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا وأضربه في مسجد رسول الله ﷺ خمس مائة صوت فأخرجه إلى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب إذ جاء علي بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى إلى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك دع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ماهو يا ابن العم فقال لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سحنة مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى ● وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضي الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدي إلى ليلا فراعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدني ان لاتخرج على ولا على أحد من ولدي فقال والله ماذاك من شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فأصبح إلا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حروان طالت بليته ... يوما تفرج غماه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فمر بي إنسان أعرفه فقمت إليه وسلمت عليه وجئت به إلى منزلي لأضيفه وليس معي درهم بل كان زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتي لبعض معارفه فباعتهما بتسعة دراهم واشترى بهاماقلته لهامن الخبز واللحم فجلسنا نأكل وإذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب وإذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم ابن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا الك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فادخلته في داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت لبصيفي شيئا يشتري به هدية لاهله وتوجهنا إلى باب يزيد باقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها فقال أتدري لم أحضرتك قلت لاأدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل في هذه الأبيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر ... يمضي فيخترق الاجساد والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به ... قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا إلى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد علي السلام فانشدته مالي فيه من شعر فامر لي بمائتي الف درهم وأمر ليزيد بمائة وتسعين الف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر إلى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الامن والخوف أيام مداولة ... بين الانام وبعد الضيق تتسع

على ذلك التوشيح زجل برح مابي ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من تبطنها عد من المتصبرين في تابوت تأتي بالطاق ولكن بالقلوب لإن صغيرها كبير وبياضها سواد وتمشي على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها لعبت أنامل قلوعها بالعود ورقص على آلاتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود نتشاءم وهي كما قيل أنف في السماء واست في الماء وكم نطيل الشكوى التي قامة صاربها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيا الهدي وليس لها عقل ولا دين وتتصابى إذا هبت الصبا وهي بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الأمواج وكم وجلت القلب لما صار لاهداب مجاديفها في مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها وكم مر على قرينها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها فتهزل ؟

(ولما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ضيق على يزيد بن أبى مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبى مسلم أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبى مسلم وشدد فى طلبه فأتى به اليه فى شهر رمضان عند المغرب وكان فى يد يزيد بن أبى مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكننى منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرنى منك فقال وأنا ما أجارك ولا أعادك وأن سبقنى ملك الموت إلى قبض روحك سبقته والله آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع فى النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلى وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الاسير (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلى رأيت رسول الله ﷺ فى النوم وهو يقول اطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت فى أوراق السجن وإذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتنى أطلقتك فحدثنى انه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وان عجوزا جاءتهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشى عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله فى أمرى فان هذه العجوزة غرتنى وقالت ان فى هذا الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمى فاطمة وأبى الحسين بن على فاحفظوهم فى فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد على واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلنى فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتنى وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدى فامسكونى وأتوا بى اليك وهذا أمرى فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق اللذين وهبتنى لهما لا أعود إلى معصية أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير أخرنى إلى غد فقال وأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ثم أمر برده إلى السجن فسمعه الحجاج إلى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله أنه ... له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وأمر باطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة فخفق رأسه بالنعاس فقال لاتبرحوا حتى أغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا إلى السجن وائتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدى فاخذت جملى توجهت إلى بلد غير بلدى لأعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيئا للاعوان فاطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فابوا وسجنت أنا والقوم فاطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على جمالها ثم قال أتدرون ماسبب فعلى هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول اطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه . وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرو لها فسبحان

إلى أن ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيناها بعد ذلك قد ثبت وهى حملة الحطب فى جيدها حبل من مسد وخاص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتتصل من ذلك العدو الازرق ذى الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر ونلا لسان الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضى الأمر وقيل بعدا للقوم الظالمين (وبعد) فان المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله أنها صدرت من فكر تركه البين مشتتا وأعضاء من كثرة بردها قد خرجت من البحر عارية فى فصل الشتاء وليستر عوراتها بستائر الحلم وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ماجرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا إلى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود على الضعيف الذى قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا إذا عد للابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربى برد وسلام والله تعالى يمن بقرب المثول بين يديه ليحصل للملوك بعد التخلص

القادر على كل شىء لاإله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا فأضيق الأمر أدناه الى الفرج

(وقال آخر) فلا تجهز عن أظلم الدهر مرة فان اعتكا الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر) لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا ولا كل شكل فيه للمره منفعه

إذا كانت الأرزاق فى القرب والنوى عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ماترى ألا رب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى مااعترانى هم فانشدت قول العتاهيه حيث قال

هى الايام والغير وأمر الله ينتظر أتيأس أو ترى فرجا فأين الله والقدر

الاسرى عنى وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل إلى قاعد البحر وقال له انفذ الان مركبا الى أفريقية يأتونى باخبارهم فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما اصبحوا إذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قدفعلت ماأمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعه وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك مامنعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يجذفون إذا بصوت يقول ياألله ياألله ياغياث المستغيثين يكررها مرارآ فلما استقر صوته فى أسماعنا ناديناه مرارآ لبيك لبيك وهو ينادى ياألله ياألله ياغياث المستغيثين فجذفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من أفريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطان وأرقه فى قصر لغريق فى البحر حتي استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لاإله غيره ولامعبود سواه (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبر أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزءا من الحديث فى خانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه فى الحانوت إذ جاء رجل من مطوفين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يديه فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطنى بها أشياء سماها له من العطر فأعطاه اياها فأخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع مافيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعنيه على بعض هذ الأشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ماعدم منها وأقبل الشيخ على الطواف بصبره ويقول له لاتجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعى لضياع لقد علم الله تعالى أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ولكن ولدلى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا لأمه ماتحتاج النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها النفساء فأبقى بلا رأس مال وانا قدصرت شيخا كبيرا لاأقدر على التكسب فقلت فى نفسى أشترى بها شيئا من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيئا أسد به رموق أهلى ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر لحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لى إلا الفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى قال أبو حفص وكان رجل من الجندى جالسا إلى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص ياسيدى أربد أن يأتى

من البين حسن الختام (القاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك) وان الشوق بحر وقلبه والله الغريق بأمواجه وجمر وصدره المظلم بسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طلقائه والكفر مجاهد ولكن بانقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الأرض (ومن انشائه) وكيف لايحمد المملوك تلك الأشواق وهى تقربه من المولى بالتخيل إذا أبعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقة وستور أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لالتهب من دمرعها بمياه محرقة فهو منها فى نار وجنه مغلول بغله مطوق بمنه (ومن انشائه ولقد أنساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذى كفر بالبلاد فاسقط عليه من سمائها كسفا شوق ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ماس على بصر الاوس كلمح بالبصر ولسان لاينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر (القاضى محيى الدين عبد الظاهر) خليفة الفاضل (ومن انشائه قوله)

بهذا الرجل إلى منزلى فظننا أنه يريد أن يعطيه شيئا قال فدخلنا إلى منزله فاقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى إذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ماهو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ماكنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى أن يأخذ شيئا ثم دفعها للطواف جميعها فأخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك ياأرحم الراحمين (وحكى) ان الملك نصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه لم يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وارصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعى الذى فيه القولنج فخرج مافيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرىء أحسن ماكان * وبضد هذا ماحكاه أبو بكر الطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا إلى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لاتقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فابوا الادخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم فبينماهم كذلك اذ دخل ذلك الرجل إلى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته * قال وأخبر أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار إلى دار هناك قضية عجيبة قلت وماهى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الكوفة فى تجارة الخز فاتفق أنه حمل جميع مامعه من الخز فى خرج وحمله حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر إنسانا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة إلى أن وصلا إلى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس إلى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة واشترى مانحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولاصاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن أنه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى إلى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا مارأيناه ولاجاء معنا ولكنه ارتحل على أثرك فظننا أنك أمرته فكر الرجل راجعا إلى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولاسمع له خبرا فيئس منه ورجع إلى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى أن يحزن الصديق إذا رآه على تلك الحالة فاستخفى إلى الليل ثم عاد إلى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعنى نفسه فاظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه.

نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرسان وذلك بفتح حصن الاكراد الذى كان فى حلق البلاد الشامية غصة لم تسغ بمياه السيوف المجردة وشجى فى صدرها لم تقومه أدوية العزائم المفردة (ومن انشائه) بابطال الحشيش بعد الخمر نعلمه أن المنكرات أمرنا أن تملأ الصحائف بأجرها وتفرغ الصحاف وإن لايخلو بيت من بيوتها من كسر أوزحاف وقد بلغنا الآن انها اختصرت وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ماقصرت وان أم الخبائث ما عقمت وان الجماعة التى كانت ترضع ثدى الكاس عن ثديها ما فطمت وانها فى النشوة ماخيب إبليس مسقاها وانها لما أخرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فسا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم مايعرف من الاحرار فى الكاس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر بان تجتث أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد

وقالوا الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشترى به شيئا للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج إلى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع إلى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك إذ حانت من التاجر التفاتة إلى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال يا عدو الله ائتنى بمالى فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاءه وأعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة إلى حين يصبح والحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا إلى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه إلى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك أين مالى يا خائن قال ما هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه إلى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره

(ولنلحق بهذا الباب ذكر شىء مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم إلى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب فى الألواح وامتزج بالارواح يعد فى جملة البشائر العظام وجرى فى العروق وتمشى فى العظام وكان خالد بن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لأرى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك فيك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدين أطيب الطيب طيبا ... ان تمسه أين مثلك أينا

(ودخل) على المهدى اعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الأبيات

لكم ارث الخلافة من قريش ... تزف اليكموا أبدا عروسا
إلى هرون تهدى بعد موسى ... تميس وما لها أن لا تميسا

فقال المهدى يا غلام املأ فاه بالجوهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى بخانق صبياننا (وقال) إبراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر ان الشمس كانت مريضة ... فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه ... فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا ه ودخل عطاء بن ابى

والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لاتشتهى بعدها خضراء ولا خضراء الدمن (ومن انشائه عن لسان الشريف إلى الفرنج وقد أخذت شتوانى السلطان) وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من إذا افتخر قال تصيدت بغراب ولئن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك فقلنا وعلم الله أن قولنا من الصحيح واتكل واتكلنا وأين من اتكل على الله ممن اتكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا) فى بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة اثنتين وأربعين وستمائة فلا روضة الا الادرع ولا جدول الا الاجسام ولا غمامة الا الانقع ولا وبل الا الاسهام ولا مدامة الا دم ولا لنغم الا الاصليل ولا معربد الا القاتل ولا سكران الا القتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضاء لجملة مضيقا وضرب النقع فى السماء طريقا

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم
إذا رأى غير شىء ظنه رجلا

(قلت) ذكرت هذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين

صيفي على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرئاسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية وأشكر الله على أعظم العطيه * ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بني سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهي تقول لا والذي أسأله ان يخلص عمر ابن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)

(الفصل الأول في مدح العبيد والاماء الاستيصاء بهم خيرا) عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضي الله تعالى عنهما اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله ﷺ فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله ﷺ ان رضي بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحابة رسول الله ﷺ أحب الي من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله ﷺ اذا اختارنا اخترناه فأعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله ﷺ أو صيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لايقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن ابن مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم ياأبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي ﷺ فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار * وروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال حدثني أبو القاسم نبي التوبة ﷺ من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت مني ما أخرجتك من يدي فأعتقها وزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب في أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم علي ابن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك ان عمر رضي الله تعالى عنه اتي ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن الدلال ينادي عليهن باسواق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا إليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال علي رضي الله تعالى عنه ياأمير المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال اكرموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر ان بنات الملوك لايبعن ولكن قوموهن فقوموهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسين بن علي ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقهم مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك يقول عمرو العبدي

نهيتكموا أن تحملوا فوق خيلكم ... هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه ... ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة ... وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك ياأمير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعمر هذه الأبيات

تلاهب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في شفاعة مانسج على منوالها أدام الله نعمة مولانا ولا زال ظل عليه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا يخفض العدا ولا برحت أقلامه لافعال الشك جازمه ولاعدائه متعدية ولآرائه لازمه (أما بعد) فان فلانا حضر وادعى أنه رحم في غير النداء وجزم والجزم لايدخل في الاسماء واستثنى من غير موجب لخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر أن العامل الذي دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه في الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف مايوجب العطف من المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف لازال مولانا بابا للعطف والصلة ومآثر مكارمه متصلة لامنفصلة (قلت) قد انتهت الغاية هنا الى التحلي بالقطر النباتي وقد عن لي أن أورد هنا حظيرة الإنس الى حضرة القدس فانها من بديع إنشائه وهي في رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهي) الحمد لله حافظ سر الملك بأمينه وجاعل حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن إذا رفعت راية مجد تلقاها عرابة براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد الممالك حلاها

فما أنكحونا طائعين بناتهم ... ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة ... ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية ... إذا لقى الأبطال بطعنهم شزرا
ويأخذ ريان الطعان بكفه ... فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بنى ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ٭ ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالى غلام فادعو به ... سوى من أبوه أخو عمتى

وقال أكثم الحر حر وإن مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر ٭ ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصر فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

إذا لم يكن فى منزل المرء حرة ... رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة ... فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكل الناس فأرسله يوما يشترى له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء باحدهما فضربه وقال ينبغى لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضى حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال لما ضربتنى وأمرتنى ان أقضى حاجتين فى حاجة جئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمر والأعجمى يلى حكم السند فكتب إلى موسى الهادى أن رجلا من أشراف أهل الهند من آل مهلب بن أبى صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى ان برىء من علته فأقام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثأره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان احدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه فى شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذى لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتى لأرمين بهما فقال الله الله ياولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ماهى الا نفسى وانى لأسمح بها فى شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثارى وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الأسود وكتب بخبره لموسى الهادى فكتب موسى لصاحب السند عمر والأعجمى بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون ولو أحسنت إلى أحدهم

من عقد التدبير بثمينه وإذا نوى فى السيادة فملا أمضى العزم الذى قبل دخول حينه وإذا حل بناءه القلم روية عن ابن بحر كتاب بيانه فى الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذى أيد بالروح الأمين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا إلى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما يريد من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الأرضى فى سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الأعظم بمدبرة تماما يخط الطرس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها مفرغا غص القلم بتثميرها منفذا أمر سلطانها ومبلغا احكام عدلها واحسانها يبنى ممالكها على الأسل من اقلامه ويحوط اطرافها احاطة الزهر بكمامه ويتحفها بأوصاف وزيرته يعقد عليها العدل خنصره ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه (وكان) صاحب هذه الدولة التى خضعت لها الدول وفاضل امرها الجليل وراسخ دوحها الذى ما مال مع الهوى وقديم صحائفها الذى تلا تسديده ما ضل صاحبكم وما غوى وضابط أمورها الذى طال ما اشترفت اليه اسماع وأبصار وانتصرت به تقتبس هجرته فلا غرو أن صار من المهاجرين بها والانصار المقر الاشرف الصاحبى الوزيرى الإمينى

الذهبى

الدهر كله ما تصل يدك إليه أنكره كأن لم ير منك شيئا وكلما أحسنت إليه تمرد وإن أسأت إليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته … وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل أن العبد إذا شبع فسق وإن جاع سرق وكان جدى لأمى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الآم من الزنوج وأردأ لأن المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجى أبويه ويقال فى المولد بغل لأنه بجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس فلا تثق بمولد لأنه قل أن تكون فيه خير وإن كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم ﴾

للعرب أوابد وغوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴿ قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكرا بحروا أذنها أى شقوا أذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا يمنع من ماء ولا مرعى ﴿ وكان الرجل إذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث ﴿ وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم ﴿ وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ﴿ وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والأنصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهى الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته وإذا خرج النهى لم يمض ﴿ ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن أحياء كانوا فى الجاهلية إذا رزق أحدهم أنثى وأدها وإذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات ﴿ وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشترى البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل ﴿ وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض بنى أمية فقال أنا ابن محى الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وأما الرفادة فى الحج) فكانت خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالهم إلى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك أن قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون لك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم ﴿ وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر

أعلى الله تعالى أبدا شأنه ورفع على فرق الفرقدين مكانه وزلى بأقلامه أقاليم مصر فوده سهام وهذه كناية من استدعته رواة المحافل وتردد فى المناصب العلية تردد الاقمار فى المنازل وجمع الاوصاف الوزيرية جمع أبى جاد للحروف وتنبيه قلبه ونامت ملء أجفانها السيوف وعرف بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السرى وقدره معروف وكنت أود لو نقلت الشهادة بصفاته عن الخبر إلى المعاينة وجمعت بملازمة مقره الشريف الظاهر الوصف باطنه ورويت الاخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التزمن ممد به هذا واشغاله بتدبير الدول شاغله وأيام البعد عند فراغه بينى وبين القصد حائله فلما عزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف اطلع رأيه الشريف على ما فى خاطرى وأمرنى بالمسير فى ظل ركابه فسر على الحقيقة سائرى وكاشف ولا ينكر التكشف لمن كثرت زواياه فى البلاد ونظر لحالى ولا ينكر النظر فى الأحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له فى استصحابى مقصد قبل الله عمله الصالح ومتجره الرابح وذلك انى كنت لابسا ثياب الحزن على ولدى مقيما بين المقابر اقامة تفت حبة قلبى على قطعة كبدى ساقيا روض الحزن بغمائم الجفون باكيا على دينار

فى الكعبة (وأعلم) وفقنى الله وإياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التيمى وابن سماك الاسدى الذين ضرب بهم المثل ٥ فأما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له ياعبد الله كيف الطريق إلى مكان كذا فقال لها ياهنتاه مثلى يكون من عبيد الله ٥ وأما عبد الله بن زياد التيمى فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودى من نواحى المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحتى على لاصليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال إنما كانت يمينى يمينا قصدا فانظر رحمك الله إلى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم إلى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدى إلى النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

(حكى) عن الحجاج بن يوسف الثقفى انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرنى بأناس بلغنى الأمل فيهم وأنى على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنها من محاسن الحجاج وان قلت فى جنب سيئاته والله تعالى أعلم

(ذكر أديان العرب فى الجاهلية) كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية فى حميرة بنى كنانة وبنى الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية فى بنى تميم منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة فى قريش اخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه ٥ وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى أبو خزاعة وهو انه رحل إلى الشام فرأى العماليق يعبدون الأصنام فأعجبه ذلك فقال ماهذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال أعطونى منها صنما أسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه ٥ وقيل ان أول ماكانت عبادة الاحجار فى بنى اسمعيل وسبب ذلك انه كان لايظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى البلاد وما من أحد الاحمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم إلى أن عبدوا مااستحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا إلى ماكانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر مايصنع إذا توجه إلى سفره وإذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل إلى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبنى كنانة العزى وكان حجابها بنى شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بنى مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم ٥ وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم ان يصوروا صورته فى قبلة مسجدهم ليذكروه إذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات

وجه عاجلته الأيام بصرف المنون أطلب قلبى فى التراب وانشده وأطارح صوت الصدا فيشدنى وأنشده

يالهف قلبى على عبد الرحيم ويا
شوقى اليه ويا شجوى ويا دائى
فى شهر كانون وافاه الحمام لقد
أحرقت بالنار ياكانون أحشائى

(وقال أيضا)

أما لعقد قد وهى سلكه
وكان ذادر بعبد الرحيم
فليتنى لاقيت عنه الردى
وعاد ذاك الدر درا يتيم

فاقتضى تدقيق النظر الصاحبى فى اسداء العوارف وإبداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عنى بصحبة ركابه والكريم لباس الباس ويشغلنى بمشافهة الانس القابل ألا هكذا فليصنع الناس وينهض بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلى قربانا لايفطن لمثله الا من ومن فيالها سفرة قابلها وجه الإقبال بالسفور وتلا فضلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومد فيها الانعام على ظلاظليلا وملأ بيتى وعينى دقيقا وجليلا وأمرنى أن أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدى السعد قد ذلك الطرق بل طوتها وقدمت وعود الأمال بل أنجزتها والأرض قد شرعت فى لباس

آخر

آخر ففعلوا ذلك إلى أن ماتوا كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك إلى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شيء غير الله فقالوا لهم من نعبد قال آلهتكم المصورة فى مصلاكم تعبدوها إلى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الأرض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم من بعد موتهم أن يصوروا صور ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ من بعدهم قوم جهال بالأحوال فحسن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها على فسموها بأسمائهم وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أى ذلك كان (ذكر أوابدهم) الرتم شجر معروف كانت العرب إذا خرج أحدهم إلى سفر عمد إلى شجرة منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد سفره ووجده قد انحل قال قد خانتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخنى . الرتيمة ناقة كانت العرب إذا مات واحد منها عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه إذا بعث من قبره ركبها ، التعمية والتفقئة كان الرجل إذا بلغت ابله ألفا فقأ عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الألف فقأ عينه الأخرى ، العر داء يصيب الإبل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرىء داء العر ، ضرب الثور عن البقر كانت البقر إذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب الهامة كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو النفس فلا يزال يصيح على قبره أسقونى إلى أن يؤخذ بثاره ، وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية كالبومة وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هى الدم وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم الإنسان الذى منه نفسه وقالوا إن الميت لا يوجد فيه الدم وإنما وجد فى الحياة مع الحرارة والرطوبة لأن كل حى فيه حرارة ورطوبة فإذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينشط من جسم الإنسان إذا مات أو قتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم .

سلط الموت والمنون عليهم   فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الإسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبى ﷺ لا عدوى ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار والمعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت ، والصفر زعموا أن الإنسان إذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن . تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت فى أول ضربة فإذا ثنيت عاشت (والغيلان والتغول للعرب) فى الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤم وأنه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الإنسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رآه فى سفره إلى الشام فضربه بالسيف وقال الجاحظ الغول كل شيء يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا أنه ذكر وأنثى إلا أن أكثر كلامهم أنه أنثى . وأما القطرب فى

عليها وحللها ومراعى الربيع وقد عدت حتى الشمس لتسمين حملها والشتاء قد آن ان يقوض الخيام والافق قد شمر للانصراف ذيل الغمام ومبدأ الروض حتى بقول أبى الطيب المتنبى

لقد حسنت بك الأيام حتى   كأنك فى فم الدهر ابتسام

فأتينا المكسوة فلبسنا منها للمسرة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح الاقبال والقبول وقفنا للمقاصد تباشرى بالحظوة ولعيون الاقبال تأملى فما أحسن الكعبة فى الكسوة ومررنا والخيل تجمز جمزا وجزنا بالصنمين فهمت أن تفخر بمواطى خيلنا على اللات والعزى وصعدنا منزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزه هزا ورأينا بينها وبين منزلة الغير روضا أخضر جناباها طرزت بآثار طرف ثيابها فأمرت بالقول فقلت سقى الله أرضا طرقها مثل طرزها وسائرها يرد من الوشى اخضر تذكرت أحبابى عشوى يدها فعينى رأس الماء وجسمى المغير ووافينا الحصين وقد راغت الخيل روغان أبيه وتلقتنا بالبشر البشرى وجرة أهلية وسألونا أن نريح عندهم الركاب من الابن وجعلوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح للحصين وجدنا هناك فقيرا مغربيا حسن التلاوة وقد عجز عن المسمى

قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نزل على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وإن كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه وإذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى (ومن عجيب ما حكى من أمر الهواتف) ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه

ليت شعرى هل بغت على * فلما انصرفنا من مكة قالها فى بعض الطريق فأجابه صوت فى الظلام نعم نعم وناكها حجيه * وهو رجل أحمر ضخم فى قفاه كية * فسكت الرجل فلما سرنا إلى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيرانى يسلمون على فاذا فيهم رجل أحمر ضخم فى قفاه كية فقلت لأهلى من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا جزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حجية فقلت الحق بأهلك (وأما) بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه (وأما) رمى السن فكانوا يزعمون أن الغلام إذا ثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدلينى بأحسن منها فانه يأمن على أسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها (وأما) جز النواصى فكانوا إذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج فى سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطير واله وكانوا يقولون من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الأرانب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة إذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل إذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الخرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل فى فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل إذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة إذا نفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق إذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان ونكاح المقت من سنتهم وهو أن الرجل إذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن لها بها حاجة زوجها بعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

(الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة . والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك)

(أما الكهانة) فكانت فاشية فى الجاهلية حتى جاء الإسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار (فمنهم) سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لأجله وذلك أن الموبذان رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك

وارتد طرف قصده عن القدس خاسئا وهو حسير فامرت له الصدقات الصاحبية بمركوب ونفقة تعينه على السفر أو الاقامة ولحقه فى ذلك فقير عجمى ينشد لسان حاله فى مثل ما بك يا حمامة * فلم أر مثلها صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصد بمجلس لحظة واحدة فيركض نداه فى الغرب والشرق الناس لدينا ضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الأصوات بالأدعية الوافية وأردنا أن نكتم دخولنا البلد وكيف تكتمنا وهى ذات عين صافية ثم نزلنا بالخيام فى مرجها الخضراء تحت قلعتها الغراء وهى فى معارج السحب صاعدة شائدة فى الجو كأنها فى السحر على عمود الصبح قاعدة مضيئة بين عقود الأنجم كأنها درتها اليتيمة جالسة على سرير الخيل تنادم الفرقدين كأنها جذيمة فنظر فى المصالح وميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم ينظر الغادى الذى هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المنجية واقتحمنا إلى الغور عقبة سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبة واستفتحنا المزارات التى نوينا قصدها وطوينا غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله ﷺ وهو أبو عبيدة بن الجراح

عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبث تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم
بالخبر فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الايوان فازدادوا غما على
غمهم فكتب كسرى كتابا إلى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه إلى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه
فوجه إليه عبد المسيح الغسانى فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرنى
الملك فان كان عندى علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فأخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك
عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فسأله عما سألتك وائتنى بالجواب فركب
عبدالمسيح وتوجه إلى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبدالمسيح
عما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له
السبب فرفع رأسه وقال عبدالمسيح على جمل يسيح إلى سطيح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان
وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت فى
بلادها ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة وفاض وادى سماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس
فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبدالمسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن أن وقت ولاة محمد قد اقترب
يملك منهم ملوكا وملكات بعدد الشرافات وكل ماهو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار عبدالمسيح
إلى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (وحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمى رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال
له أهل مملكته مايفسر لك الا شق وسطيح فأحضرهما وقال لسطيح إنى رأيت مناما هالنى فان
عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل منها
كل ذات جمجمة فقال له الملك ماأخطأت شيئا فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين
أبين إلى جرش فقال الملك أن هذا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده قال بل بعده بحين
أكثر من ستين أوسبعين تمضى من السنين ثم يقتتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن
ذا الذى يملك بعدهم قال أراه ذايزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم احد باليمن قال الملك فيدوم
ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى يأتيه الوحى من العلى قال وممن يكون هذا
النبى قال من ولد عدنان فهو بن مالك بن النضر يكون فى قومه الملك إلى آخر الدهر وهل الدهر من
آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون قال أوحق ماتخبر
قال والشفق والقمر إذا اتسق أن ماأنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح ٥ ومن ذلك
ماحكى أن أمية بن عبدشمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المفاخرة فقال هاشم أفاخرك على خمسين ناقة
سود الحدق تنحر بمكة فرضى أمية بذلك وجعل بينهما الخزاعى الكاهن حكما فخبؤ اليه شيئا وخرجا
اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا خبأنا لك خبيأ فان علمته تحاكما اليك وان لم تعلمه تحاكمنا إلى
غيرك فقال لقد خبأتم لى كيت وكيت قالوا صدقت احكم بين هاشم بن عبد المناف وبين أمية بن
عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما
بالجو طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ولأمية أواخر فأخذ هاشم الابل
ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال إنها أول عداوة وقعت
بين هاشم وبنى أمية (وحكى) أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه
من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير إذن فخلا البيت
ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى
هند رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذى خرج من
عندك قالت مارأيت أحدا قط وما انتبهت حتى أنبهتنى قال فارجعى إلى بيت أبيك وتكلم الناس فيها

مشهده على سنن الصلاة
ونظر فى مرتبه بعين
العدل وأعانه بيد السماح
وجمل وإلى الناحية
عبيدة وما جمل لشاهده
المعروف بالجراح
وسلكنا جانب الغور
الممطور فأعجبنا ريا ورواء
وكنا نظن الماء فيه غورا
فوجدنا المغور ماء وخضنا
فى حديثه وخاضت الخيل
وتركنا عقبانه كالمعلقة
وملنا إلى السهل كل الميل
وتلقينا كل ذى القصد
يبشر الصباح ولم نقل
أهلك والليل وما زلنا
كذلك لانمر بواد الاأنت
مع الابتهال بطول العمر
ماله وأرامله ولا بناد لا
قامت للدعاء رجاله واطفاله
وحلائله ولا بولاية الا
ارتج غدرها ولا ببلدة
الازها على التى بين السماكين
بدرها ولا وماش الاجمله
المعروف ولا عابر سبيل
الا آنسه من النعماء
صنوف ولا جائز الا
شملته جائزة ولا منقطع
بمفازة الا وعقباه فائزة
ولا ظبية من ظبيات دمشق
الا والمكارم توالبها
وتواليها توجدها فى
القفار كما توجدها أولياء
الله فيها إلى أن قدمنا
القدس الشريف نحن
والغمام وسبقنا اليه طرا
الصبح تحت أذيال
الظلام وخف بنا جناح
الشوق والسوق حين دنت الخيام من الخيام وألقينا بباب حرمه عصى

فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا دسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ماهو على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فحاكمنى إلى بعض كهان اليمن فخرج بفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج أبوها فى جماعة من بنى عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها إنى أرى حالك قد تغير وما هذا إلا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف أنكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ولا آمنه أن يسمنى بسيما تكون على سبة فقال لها لا تخشى فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم دخل فى إحليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لى ثمرة فى كرة قال إنى أريد أبين من هذا قال حبة بر فى إحليل مهر قال فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتى إلى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضى حتى بلغ هندا فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية ولتلدين ملكا اسمه معاوية فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت إليك عنى فوالله إنى لأحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضى الله تعالى عنه (وأما القيافة) فهى على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر * فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الإنسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم (وحكى) عن بعض أبناء التجار أنه كان فى بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر إليه واحد منهم وقال وما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع فى نفسى من ذلك شىء فلما رجعت إلى أمى ذكرت لها القصة فقالت ياولدى أن أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسى فحملت بك ولولا أن هذا شىء ستعلمه غدا فى الدار الآخرة لما أعلمتك به فى الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل إذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه يظفروا به ومن العجب إنهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن فى قطية وثغر البرلس أقواما بهذه الصفة وقد وقفت من قريش حين خرج النبى ﷺ وأبو بكر إلى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه ﷺ بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله إلى ههنا إنتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولو أن هناك لطيفة لا يتساوى الإنسان فيها يعنى فى علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل القيافة لبنى مدلج فى أحياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بنى عامر فإذا ببعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل فى الأرض ويقول فيوافق قوله ما يأتى بعد وقال رجل شردت لى ابل فجئت إلى خراش فسألته عنها فأمر ابنته أن تخط فى الأرض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها لأى شىء قلت لا قال قد علمت إنك تجد ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها * وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعى غازيين فمرا بامرأة وهى تخط للناس فى الأرض فضحك منها مالك هزوا وقال ماهذا فقالت أما والله لا

السفر وألقت هناك رحالها ركائب المطر وزرنا باب الرحمة من الأرض وزارنا باب الرحمة من السماء وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى فمشينا على الماء وحمدنا الأوطان والأقطار واستمرت بلسحب حتى عادت الصخرة كحجر موسى تنفجر منها الأنهار وأقمنا فى بيوت أذن الله أن يرفع شأنها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شخص يلقب بالخلد سكن بيتا حسنا وغمض عينه على الرفاق تغميضا بينا (فقال) مولانا الصاحب ماتقول فى بيته فقلت ماأقول فى جنة الخلد وشكا قوم عشرة هذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ماتفعلون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم دخل الناس على الأبواب الصاحبية أفواجا وماترك أحد منهم منها جاذا ناحية إلا منهاجا ومكثنا فى البيوت إلى أن صحا الافق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقمنا لبقية المشاهد قاصدين ولتلك المبانى المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطىء القدم دموعا عزت بلسمها ولا تقول هانت ونظر آثارا قديمة تذهل عيون النظارة وآثارا متجددة فى هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة ومحاسن يقف

لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو عذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فأحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى فى طريقك وعنده وقال للمصور ائتنى بصورته فلما عاد إليه أعطاه المصور صورته ﷺ فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك • وبعث صاحب الروم إلى النبى ﷺ رسولا وقال له انظر اليه وملى إلى جانبه وانظر إلى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبى ﷺ على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله ﷺ قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع إلى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمى فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة • وقال المدائنى وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما أسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن أنى أرجع إلى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبى تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبى فانظرى إليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب ابن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها وبينما مروان بن محمد جالس فى ايوانه يتفقد الأمور إذا تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان سيذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى) المدائنى ان عليا رضى الله تعالى عنه بعث معقلا فى ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك فى وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس إذا نظر إلى كبشين ينتطحان فجاء رجلا وأخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبى ربيعة الخثعمى الزاجر إنكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لأحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك فى المرة الأولى دخلت على والشقة بيدى أدبر طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة فى يدى أريد قطعها لأنى قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوى فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذى يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث إليه بجيش عظيم فخرج إليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضىء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان فى عسكر ذى يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لأميره اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل إلى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك إلى فرس ثم إلى بغل ثم إلى حمار وكأنه أنف من مقاتلتهم على شىء من ذلك إلا على حمار لأنه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى إلى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير إلى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) أنه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطىء

فى طريق الزيارة متأماها ووقفة فى الطريق نصف الزيارة فنها ما هو مخصوص بالحرم الشريف تستلم كالحجاج أركانه وتقلب وجوهنا فى سماء سقف يكاد يمطر علينا لجينه وعقيانه ونشاهد رخاما بلغ فى الحسن والمحل الاقصى فى الاقصى وتمت به فى بهجة المكان زيادة تخالف قول النجاة أن فى الترخيم نقصا فاما المياه التى تجرى فى الحرم على رأسها وتطوف على مواضع المنافع بنفسها فتلك نعمة مقيمة يكافىء الله عنها فى داره المقامة وحسنة فى المعنى والصورة جارية إلى يوم القيامة ومن المبانى المذكورة ما هو خصيص بمولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره وأبقاه سيفا يقف كل ذى قدر عند حده فلا يجاوز مقداره من مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده ودار حديث يروى فيروى الاسماع الظامئة مورده وخانقاه تضىء عليها أنوار البركات الكوامل ورباط ومكتب هما كما قيل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

(وقلت فيها)

بنيت رباطا للنساء ومكتبا
يدير على الأيتام سحب الفواضل
فلله من هذا وذاك كما ترى
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فحينا من تلك المحاسن بعتانين دانية القطوف ولحظنا من الظلال السيفية جنة نشأت

فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأي شيء عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فأولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الأمر كذلك (وأما الفال) فقد روى أن النبي ﷺ كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروى أنه ﷺ لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا بشار ويا سالم فقال ﷺ لأبي بكر رضى الله تعالى عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الأصمعي سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريضا فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان ﷺ يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعنه ﷺ أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا في دبرها فقد برىء مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الأبيات يقول

لا يعلم ليلا ما يصبحه ... إلا كوذاب مايجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم ... مضللون ودون الغيب أقفال
(وقال لبيد) لعمرى ماتدرى الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع
(وقال آخر) تعلم أنه لاطير إلا ... على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء ... أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا إذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير في أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذ يمينا وان أخذت شمالا أخذ شمالا ومنه قول امرىء القيس

وقد اغتدى والطير في وكناتها ... عمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم مايتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لأنه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الأعور على جهة التطير اذ كان أصلح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

إذا ماغراب البين صاح فقل له ... رفق رماك الله ياطير بلبلعد
لأنت على العشاق أقبح منظر ... وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا ... وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا ... كأنك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقال من وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد زعموا بأن مطيهم سبب النوى والمؤذنات بفرقة الأحباب وقالوا من تطير من شيء وقع فيه (وحكى) عن إبراهيم بن المهدى قال أرسل إلى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول ياعم انى مشتاق إليك فاحضر الآن عندنا لجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبي جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الأبيات

وكذلك الجنة تحت ظلال السيوف وشرعت صدقات السر والجهر وقوبل السؤال ببحر لايسمع عنده نهر وغض بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصى يأتين من كل فج عميق فوضع فى مواضع النوال وقدت الكساوى حتى على المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض اشرافها عن مقال اللاحين واتخذ الفقراء والاغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا إلى حين وجاءت الدراهم بعد التفاصيل بالجمل وقال جودها الحاتم هذى التى لا ناقة فيها ولا جمل

(ومما قلت فى ذلك)

لله حال امرىء مقتر ... قضيت فى القدس بتنفيسه
ودرهم ولى ولكنه ... وقد أخذ الاجر على كيسه

ثم تليت الختمات التى شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التى أجرت الأوقات الصاحبية أجرها وشرع فى بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية بباب الحرم الشريف وأخذ راقم الرخام فى التوشيع والتفويف فيالها الواحا كتب فيها من الحسن كل شيء واطرد ماء رونقها فكان العين منها فى ماء دفيء وياله رواقا شاق وصفه ورواق ورقع محله فقال لسان المتصرف حينئذ رفاعي الرواق

هموا قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بني هاشم كيف التواصل بيننا ... وجد أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتبهي وغني ما يسرني فغنت تقول

كليب لعمري كان أكثر ناصرا ... وأكثر حزما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء في هذه الليلة غني غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم ... حتى تفانوا وريب الدهر عداء
تبكي فراقهم عيني فأرقها ... ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومي إلى لعنة الله فقالت والله يامولاي لم يجر على لساني غير هذا وما ظننت إلا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال إبراهيم بن المهدي فالتفت إلي وقال ياعمي أرى أن هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله ياأمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي أسمعت ما سمعت ياعم فقلت سمعت شيئا وما هذا إلا توهم فاذا الصوت قد علا فقال ياعم اذهب إلى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدي به * وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة ... تخشى ولا أمر يكون مبدلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه ... صغر الولاية فاستقبل الموصلا

فسر خالد وأمر لأبي الشمقمق بعشرة آلاف درهم * ودخل الحجاج الكوفة متوجها إلى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدي وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم واني على أعداء الله تعالى لأنكد من الغراب الأبقع وأشأم من يوم نحس مستمر واني لأعجب من لوط وقوله لو ان لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد فأي ركن أشد من الله تعالى أوغلتم ما أنا عليه من التوجيه إلى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخي محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا في أهل اليمن فانه أمره ان يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته ان يسيء إلى محسنكم وان لا يتجاوز عن مسيئكم وانا أعلم أنكم تقولون بعدي لاأحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لاأحسن الله عليكم الخلافة أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم * وخرج بعض ملوك الفرس إلى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالأعور فأمر له بمال فقال لاحاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتني فصدت وسلمت فأينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكي) أيضا أن صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت

هذي الليالي علمنا ان ستطوينا ... فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكي) أن نور الدين

ثم وثب للشيخ والفقراء ما يحتاجون اليه من كل نوع فريد وأصبح كل أحد وهو للنزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا في اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا نقصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجليلة وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهي الخليلية وزرنا قبر يونس عليه السلام في طريقنا ورفعنا لأنواره الجفون وتملى عندنا الزيارة ذو العين بذي النون نزلنا من محل الخليل على محل القوى وحمدنا عند صباح ذلك الوجه السري واستقبلنا بمقام إبراهيم أمانا واستلمنا من ضريح شائد الركن ومن ضرائح أهله أركانا وأكلنا من شهي عدسه لونا ووجدنا من الهناء ألوانا وقلنا لأنفاس الشوق كوني بردا وسلاما على إبراهيم ووردنا مورد اللقاء نشفي ظمأ إبراهيم وفرقت الهبات وتليت الختمات وجردت المواعيد على عوائدها المحكمات فقلت

قصدنا خليل الله في [illegible] صاحب ... جلي العلى والمكرمات جليل
فهذه الدنيا وهذا لديننا ... فياحبذا من صاحب وخليل

وسرنا في ظل الصاحب من الخليل وكانت دمشق تمد أيدي اعطائها الجاذبة ركابه ومصر تتضرع بأصابع نيلها طمعا في اقترابه وترضع ثدي هرمها داعية إلى الله بعودة اليها وإيابه ومن شبابك

الوزارة أن يتلقى صاحب قبة وصدر الخزائن (٨٦) أن يملق ما اعتاده من رأى عطفه منحه فانه ماجلس فيه آبهر وأبهى منه

محمودا وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للفتوح فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش إلى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش إلى آخر الشهر فان العام كثير قال فأجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الازل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام (وأما الفراسة) فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيئا الاظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على على رضى الله تعالى عنه بشىء فلم يعمل به ثم ندب فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه إلا ما يستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن أنهما رأيا رجلا فقال أحدهما أنه نجارا وقال الآخر انه حدادا فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجارا (وحكى) أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له أجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك أنه سافر السائل فوصل إلى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته مكتسيا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه إلا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الأرض أحزر منه كان ينظر إلى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطىء وكان حزره المكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الاس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطىء وقالوا إذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشىء ما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جوره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل واذا قيل المتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شىء فاعلم أن امرأته قبيحة وإذا رأيت انسانا يمشى ويتلفت فاعلم انه يريد أن يحدث وإذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى وإذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم أنه صفع ويقول عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على قلة وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطائف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل فى الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول إذا فشا الموت فى الوحش دل على ضيقة وإذا فشا فى الفار دل على الخصب وإذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب وإذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شىء عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة لا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين (وأما النوم والسهر وما جاء فيهما) فقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجىء يوم القيامة مفلسا وكان

الطلعة الأمينيه باجماع الآملين المتأملين والخزائن التى كم قال لها تدبيره ابى حفيظ عليم فقال الملك انك لدينا مكين أمين ثم عطفتنا الاقدار إلى جهة الرملة وجاءت الوفود كالرمل وخفت أكياس دراهم الصلات وثقلت أكياس دراهم الحمل وأقمنا ثلاثا ايام نكاد ننشد

خرجنا على أن المقام ثلاثة

فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا

ورأينا مسجدا يعرف بالركن تد غير الزمان محاسنه الأنيقة وهدم الخراب والموت ركنيه على الحقيقة بأمر مولانا الصاحب بعمارة ما منه اندثر ولحظت لآراء حجارته المنقضه فتبين أن السعادة تلحظ الحجر ولقد صنع فى هذه المنزلة من المعروف ما لا صنع ذوو الدهر الطويل مثله وبنى من المكرمات ما ثبت ولولا إبداع سعادته ماثبت البناء فوق الرملة ورحلنا عن الرملة بنية الزيارة لمشهد زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام فررنا فى طريقنا بجملة خير معرضة وبنية فى وجهة القبول مبيضة تحتوى على قبر بنيامين أخى يوسف عليهما السلام

زمعة

زمعة بن صالح يصلي ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا ۞ أكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى، عند الصباح يحمد القوم السرى (وانشدوا)

يا أيها الراقد كم ترقد ۞ قم ياحبيبي قددنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته ۞ حظا إذا ماهجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله ۞ لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الألباب أهل التقى ۞ قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى ۞ غمومات ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبدالمطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينيك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أوما سمعت ماقالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة * والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هى التى أمر النبى ﷺ بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لاتقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها إلا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لاتصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثورى لطبيب دلنى على شىء إذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك واكثر من ذلك واتق الله * وكان طاوس يقول لأن تختلف السياط على ظهرى أحب إلى من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم إن النار منعتنى النوم وأنشدوا فى المعنى:

غيرت موضع مرقدى ۞ يوما ففارقنى السكون
قل لى فأول ليلتى ۞ فى حفرتى انى أكون

(وأنشد أبو دلف) أما لكنى ردى على رقاديا ۞ ونومى فقد شردته عن وساديا
أما تتقين الله فى قتل عاشق ۞ أمن الكرى عنه فأحيا اللياليا

(وأنشد أبو غانم الثقفى)

رقدت رقاد الهيم حتى لوانى ۞ يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا اسود قيل انه نام أسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبونى لأعلم كيف تندبونى إذا أنا مت فسجى ونام وندب فاذا هو مات (واما الرؤيا) فقد قيل فيها اقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره إلى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح ومنهم من زعم ان مايجده الإنسان فى نومه من الخواطر إنما هو من الأطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء إلى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه اجداثا وامواتا مكفنين بسواد وبكاء واشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وانواع الملاهى والثياب المصبغة والذى يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبى ﷺ أول مابدىء به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح * والرؤيا على ضربين فمنها من يرى رؤيا فتجىء على حالها لاتزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ماحكى) ان النبى ﷺ رأى فى الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابى جهل بن هشام

فالحقناه بالزيارة بأخيه وتوكلنا على الله فى القبول توكل أبيه وتيممنا بنيامين وقرعنا أبواب السماء بأدعية فاتحة فقال النجيح عقيب الفاتحة آمين وسرنا والصدور منشرحة والطريق الى خير الدارين متضحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه بضريحين كريمين بهجة الدين والدنيا وتلا مزارها للقادم إنا نبشرك بيحيى وبيتنا ليلة طيبة بحبيبها ونميت النوم ونمضى بالسهر أمره فماله سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والاعين نورا وقوينا على قصد جنى الجنان واستقبلنا محاسن بيسان وختمنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فأنقذت أنواره القلوب من الهم أى انقاذ وكدنا ننفن بالانس حتى نقول أفتان أنت يامعاذ ومسكنا عنده من الدعاء بعروة لاتنفصم وأوينا من طوفان الذنوب إلى جبل ينجح من به يعتصم وأمر بما يحتاج اليه من تجديد عمارة وانشاء طهارة والحق بكل مزار وردنا عليه فى هذه السيارة فانا لانفارقه الا عن اقامة صلاة وصلات وتجديد آثار يزين به وجه القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا على الفور ونهوض ليثه الملبد وجزنا مبتسمين فما بكينا بكاء لبيد يوم فراقه أربد وارتشقنا من لقاء طيبة الاسم اطيب العرف وسكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة

الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا للنازل التى قدمنا ذكرها ورجعنا كما نسترجع منازل الآفق زهرها وتبسمنا

فقال مالأبى جهل والجنة والله لايدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تاول فى قتل الحسين لما رأى أن كلبا أبقع يلغ فى دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لأبى بكر رضى الله تعالى عنه انى رأيت كانى رقيت أنا وأنت درجا فى الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يارسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف ورأت عائشة رضى الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقار فى حجرتها فأولها ابوها بموته وموت النبى ﷺ وموت عمر رضى الله تعالى عنهما ودفنهم فى حجرتها فكان الأمر كذلك (وحكى) أن أم الشافعى رضى الله تعالى عنه لما حملت به رأت كان المشترى خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق فى كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه بأكثر البلاد فكان كذلك (وحكى أيضا) أن عاملا أتى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لاوليت عملا فعزله ثم اتفق أن عليا رضى الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية ماوقع فكان ذلك الرجل معاوية (وأما) من مهر فى تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كانى أسقى شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال مالتى تحتك قال علجة اشتريتها وفى رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه . وجاءه رجل فقال رأيت كأن فى يدى خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء . وجاءه رجل فقال رأيت جارة لى قد ذبحت فى بيت من دارها فقال هى امرأة نكحت فى ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم ثم بلغه أن الرجل قدم فى تلك الليلة وجامع زوجته فى ذلك البيت . وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت فى النوم كأنى أسد الزقاق سداوثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغى أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون فى جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه إلى السلطان . وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت فى النوم كأن القمر دخل فى الثريا ونادى مناد من خلفى أن ائتى ابن سيرين فقصى عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيتى هذا فأعادت عليه فقال لأخته هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام . وجاءه رجل فقال رأيت كأنى آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فأنت نباش الموتى فكان كذلك (وحكى) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصى وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف منى فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يانبى الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائى فكان كذلك . وأتى ابنة مغيث آت فى المنام فقال لها

لك البشيرى بولدى . أشبه شىء بالاسد . إذا الرجال فى كبد
تغالثوا على بلد . كان له حظ الاسد

فولدت المختار بن أبى عبدة وذلك فى عام الهجرة . وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأنى بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلى أربعة من صلبه الخلافة . وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه رأيت عليا رضى الله تعالى عنه فى المنام فقال لى ناولنى كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت اخاكآبة فأتيت الجمد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك

أرواح دمشق حتى كدنا ننشق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الديار على هذا السعى الجليل وفاصلنا السفر على كل وجه للفضل جميل . وقطعنا بالكسوة ليلا طائلا نداوه كل ليل للعاشقين طويل وفى تلك الليلة كان دخولنا إلى دمشق المحروسة كدخولنا إلى القدس الشريف سائرين سرى النجوم فى الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين لخواطر الملتقين وهيهات وقد سال منهم السيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الأزهار وأجرت أمام ركابنا الأنهار ولبست من وشى البديع حللاها من أوائل ما نعقد من الثار أزرار فائزين من الثناء والثواب بفرق الارادة داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لرتبته باب الزيارة وتمت هذه السفرة على أحسن مايكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت فى الليل المذاكرة والتقطت من الفوائد الوزيرية ما كنت أرتقت جواهره وأزاهره وأردت أن أذكرها فى هذه الخطبة لأنها جواهر وأضمنها بعض العلم فى هذه الاوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المشبوع واقتفى وينشر

وينشر عليك وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال من رآني في منامه فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا أنظر إليه فضحك رسول الله ﷺ وقال بأي عين كنت تنظر إلى رأسك فلم يلبث رسول الله ﷺ أن توفي وأولو رأسه ينبيه ونظره إليه باتباع سنته وقال رجل لعلي بن الحسين رأيت كأني أبول في يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه رأيت كأني نبشت قبر رسول الله ﷺ فضممت عظامه إلى صدري فهالني ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغي لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى الرؤيا قلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك ﷺ وقال النبي ﷺ الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال تضرعت إلى ربي سنة أن يريني أبي في النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألني عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها إلى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ﴾

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهي حسنة ما لم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فإنه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان ﷺ إذا أراد غزوا ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضي الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه في يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال أولم تؤمني قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك أمان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت مني أمانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الأقرع وكان يقول الحاجة تفتح أبواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذي يحتال للأمور إذا وقع فيها بل العاقل الذي يحتال للأمور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصراني لو أسلمت فقال ما زلت محبا للاسلام إلا أنه يمنعني منه حبي للخمر فقال اسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الإسلام وحسن إسلامه فأخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة في أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده إليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها إلى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها في مكانه في عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذي أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسة فقال المدعي اللهم ان كنت صادقا فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعي وقال اللهم ان كنت تعلم أني رددت الجوهرة إليه فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقي ذلك إلى قيام الساعة وان المختار بن أبي عبيد الثقفي من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه إبراهيم بن الاشتر إلى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع إليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الأمر عليكم فأرسلها ثم قال للناس اني لأجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب أن الله ممدكم بملائكة

الحال أن أجمعها في سفر يقال فيه تلك رحلة وهذا تاريخ ومجموع وقد علم الله أن هذه النبذة من القول وردت من قريحة مسها فقد الولد بفرح وأي فرح وقال تفكرها الذي كان حائك الكلام لسر اليوم من ذلك الطرح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذري ويعلم السبب في كونها ليست عادة نظمي ونثري وإذا كانت القريحة في بقايا قروحها فليت شعري أينهض سجعي وشعري والله تعالى المسئول أن يجعل في البقاء الصاحبي سلوة عن كل فقيد ويصل أسبابنا أبدا بتحريره الوافر وظله المديد ويرزقنا في شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهبا بصره حديد (قلت) ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى إلى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبي الاميني رحلتي صحبة الركاب الشريف السلطاني المؤيدي سقى الله ثراه إلى البلاد الرومية وورود أمره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد واستيعاب الرحلة الشريفة في البشارة المجهزة إلى الديار المصرية وأن لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي عظم الله شأنه فقرأها بالجامع المؤيدي والأزهر في شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد عن لي أن أقرنها

غضاب صعاب تاتى فى صور الحمام تحت السحاب ٭ فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد ٭ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما فاكله فاختصما فى الصبى الباقى الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يانبى الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يانبى الله ان لى جيرانا يسرقون أوزى فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان أحدكم ليسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال مايخفى على منه شىء وانى لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على مايريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لايحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة ٭ وبلغ عضد الدولة أن قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شاهقة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لاحد نساء الأمراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم ٭ وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعى بشربة ماء فجىء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذى ارتاع اذهب إلى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرىء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه ٭ وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر ذلك القاضى اياسا فقال اعلم بأنك جئتنى قال لا قال فعد إلى بعد يومين ثم ان القاضى اياسا بعث إلى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم أنه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لأيتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهىء موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض إلى صاحبك وقل له ادفع إلى مالى والاشكوتك للقاضى اياس فلما جاء وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى إلى القاضى اياس وأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدالى ترك السفر امض لشأنك لاأكثر الله فى الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه ابرويز قال ابرويز الداخل عليه ليقتله انى لأدلك على شىء فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلانى فلما قتله وذهب إلى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض

بالرحلة النباتية فانهما رحلتان (وهى) ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى ولا زالت طرف أخبارها السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وترنحه بنسمات قربنا وتجاور كريم سمعه ليأخذها بالشفعة وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق فاتلنا الشريف يبشره بالرجعة (صدرت) هذه المكاتبة بهدى اليه من أوراقها ثمرات الفتح ليتفكه بالفواكه الفتحية وتعرب عما أبدته عربياتنا من شواهد التسهيل فى فتح البلاد الرومية فانها رحلة مؤيدة تشد اليها الرجال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فهى لها من أطهر الاذيال وتبدى الكريم عليه تجلى مخدارت الحصول بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيدة واستقرار سيس فى هذه الحلبة على قديم عاداتهما بين الجنائب الحلبية وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعى شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت أقفاله بعد ماعسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الأدعية من أفواه مراميها فرحا بنا وسرورا وبدلت صوامعها تلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة لشيخ ملوك الأرض طائفتها الارمنية وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة

عشرة

عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام فى الباء فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله ه ولما بايع الرشيد لأولاده الثلاثه بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى إلى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن أنه إلى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل إلا قياما من المجلس ه وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحرس بن كعب فانى ذكرت إمرأة منهم لأتزوجها فقال أيها الأمير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل إلى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لى جعل على ان اللطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارسة بن قدامة فانه سيدهم فمضى إليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبى وجهنى عبد الملك إلى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فكتب إلى عبد الملك رقعة ودفعها إلى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لأنه لم يرك شيئا الا سألنى عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبى فقال لله أبوه ما عدا ما فى نفسى ه ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه ورح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فوصل بعض ندمائه الى ان دخل بيت روح بن روح زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب فى مجلسه هذه الأبيات

يا روح من لبنيات وأرملة ... إذا نعاك لأهل المغرب الناعى
ان ابن مروان قد حانت منيته ... فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ما حكى ان النبى ﷺ لما فتح خيبر أو عرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمى وكان أول من أسلم فى تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فاذن لى يا رسول الله فى العود إلى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه فأذن له رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انى احتاج إلى ان أقول فقال رسول الله ﷺ قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت إلى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ سار إلى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا ﷺ قد سار إلى خيبر قال فقلت إنه سار إلى خيبر وعندى من الخبر ما يسركم قال فأحدقوا حول ناقتى يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جميع مالى من غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغتنم من ثقل محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى التجار إلى هناك فقاموا معى فجمعوا لى مالى كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف إلى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله

بيته الابراهيمى وأدنيناه من ارمنة فدنا منها إلى أعلى المراتب وتلمظت سيوفنا بحلاوة الفتح وشفت بألسنتها فى كل قطر قطرها فتحت إياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت ابياتها لما نظمت ببسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصه من رحيق هذه الطاعة فأمسى ثغره بأفواه الشكر يقبل بسط جبين جسره لمواطىء خيلنا قرحنا وتهلل وجانس الفتح بين اياس وبانياس ولم ينتظم لبنى كند بيت بملطية يقال له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مما لا يستحيل الانعكاس وتسجر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته بلسان جم لا يفحم وما هو الا كافر طال عمره لجاوته لما استبطأته جهنم وفر الى ملك عثمان فحكمنا بقتله فى تلك الارض علما ان الجهاد فى أعداء الدين عند الصحابة المحمدية من الفرض وسمع العصاة بطرسوس زئير آسادنا من بعيد فأدبر مقبلهم وتخيل أن الموت أقرب اليه من حبل الوريد واهربت ابوابها بعد كسرة عن الفتح وقال أهلها أدخلوها بسلام آمنين وأوى العصاة إلى جبل القلعة لما رأوا بعد القتال هذا الفتح المبين وصفع مقلهم وجهه

قال قلت استأخر عني حتى ألقاك على خلاء فإني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثي يا أبا الفضل فإني أخشى أن يتبعوني فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال لك على ذلك قال قلت والله ما تركت ابن أخيك إلا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولأصحابه قال أحق ما تقول يا حجاج قال قلت أي والله ولقد أسلمت وما جئت إلا مسلما لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه فإذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله ما تحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله إلى تخليصه وتحصيل ماله ؛ ولما اجتمعت الأحزاب على حرب رسول الله ﷺ عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله ﷺ خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد علمتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه واموالهم واولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا امثالكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأي ثم اتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه قد بلغني أمر رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه علي قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذي بيننا وبينك فهل يرضيك ان تأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي منهم فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت ارسل ابو سفيان ورؤس بن غطفان الى بني قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فارسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب

فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عند ذلك الحكم ببدائع وشاهد القرمانيون من سيوفنا شدة القرم تخشى كل منهم أن يصير لحا على وضم ورأوا لسن السهام في أفواه تلك المرامي برأينا الصائب ناطقة وما أظهروا على سماء برج غيوم ستائر الالمعت فيها من بوارق مرهفنا بارقة فمزقوا الأطواق من الحنق فطوقناهم بالحديد واحببنا الفتح المأموني برأينا الرشيد وما خفي عن كريم علمه وقوع انتقامنا الشريف في الغادر ابن البادر لما أدبر وقطع الله دابره وظهور السر الابراهيمي لما ادعى انه نمروذ تلك الفئة الغادرة كلمه بسيوفنا فأخرسه وتخبطه شيطان الرعب بمسه ورأى فيه تلك الهمة العالية فنجا من تلك الوقعة بفرسه ونفسه وأوى من قبل الى جبل ليعصمه فقال له لا عاصم اليوم من أمر الله ورماه من شاهقه في بحر عسكرنا بعدما عض عليه بثناياه وسمع الرعد من سيف ابراهيم فنفر وقد شاهد من أصيب بصواعقه من عصاة التركمان وصدقت فيه عزائم أتراكنا وما رؤي أحد في ذلك اليوم من الترك مان وسقوا أوهاد تلك الجبال من دمائهم فكادت احجارها أن تورق وتخصب بعد المحل وجنوا بالعسال على النصر وغنموا من الانعام

واشتد

واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة يقولون انا لا تدفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان ذلك شمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان انالا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم لخذل الله تعالى بينهم أرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن الهم نعيم ابن مسعود هذه الفتنة هداه إلى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الأمور) فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والعذر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنو شروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالإحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته (وروى) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف ويتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالأمس فدنا منه فسمع فيه انين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال رجل من البادية قدمت إلى أمير المؤمنين لأصيب من فضله قال فما هذا الأنين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر لرجل لا يعرفه فجاء إلى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت إن شئت قال فخذى معك ما يصلح المرأة من الخرق والدهن وائتنى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى إلى المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى انضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيئا أمور المسلمين ينبغى له ان يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسئول متى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله عنه وأخذ القدر من فوق النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم إلى بيتك وكل ما بقى فى البرمة وفى غد ائت الينا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الأحوال وإقامة قسطاط العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الأمة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه إناء فيه مزور وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا

ما زاد فى عدد أجناسه على النحل ونفرت عنهم أوانس تلك الظباء والمتيم ٥ لمنى فى الظبية أنس منكم نفرت ٥ وانفطرت كبده لما رأى كواكب الحى من افلاك تلك الصدور وقد انتثرت وسن المقر الصارمى فيهم عزمه فقطع بهذا الصارم من عواتقهم أوصالا وحميت نار حربه فسبكت أوانيهم من الذهب والفضة تحت حوافر خيله نعالا ورخصت أنواع الديباج فكم من معدنى صارم دنى لأن قبورهم بعثرت ونلا لسان حال الكسب على السمور وغيره من أصناف الوبر وإذا الوحوش حشرت وانقادت ركائبهم إلينا وبدور موطنها فى بروج تلك الجبال قد أشرقت والمتناظر يتلو متعجبا أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وكانت نار حرب القوم على المقر الابراهيمى بردا وسلاما فانه رفع قواعد بيته فى ذلك اليوم وعلمنا ان الله قد جعل لإبراهيم فى هذا البيت الشريف مقاما ورقاه فى عمر الابدر إلى برج الكمال فأبدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال هذا المقال

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على اكمه لا يعرف القمرا

وإن كان شلا فهو فى الخبر كاسده ومصارع ليوث الحرب قد جعلها الله من نيب صغره تحت يده ورفع له فى هذا المبتدا وسيره فى الآفاق خبرا وعلم الأعداء ان دمهم يجرى عند لقائه

فمسك الأسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فى واحدة فأنت قد أخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب إلى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف إليه ويظن أن زياداً لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الى وأنا أعرف بك منك بنفسك والله إنى لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التى عليك وهى لفلان وقد أعارك إياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق المنصور ثانى خلفاء بنى عباس ولى الخلافة بعد أخيه السفاح وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الأمور والرعايا فاستقامت له الأمور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه بإتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عنادهم بأسيافه وكان بكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعالج المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الأسباب فمن آثار يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة الازدى قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابنى فلما خرج الجند أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال انى لأرى لك هيبة وفيك نجابة وانى أريدك لأمر وأنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضر فى يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحداً ثم قال لى اعلم أن بنى عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عيناً من عندى وألطافاً وكتباً واذهب حتى تأتى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه متخشعاً والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والألطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيرونى سراً وسيروا معى ألطافاً وعيناً وكلما جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والألطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها ونهرنى وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وأن معى ألطافاً وعيناً فأنس بى وأخذ الكتب وما كان معى قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى إليهم فاقرئهم السلام وأخبرهم أن ابنى محمداً وإبراهيم خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته بذلك فقال لى المنصور انى

نعما وكذا جرى وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته وغدره فإنه أخرج أهل تلك البلاد من أرضهم بظلمه لا بسحره وسألنا قبل ذلك فى ولده وقد كره العود إليه وألف أبوتنا الشريفة وتوطن فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن عليه فخالف نص الكتاب ومشى فى ظلم الطغيان ولم يعمل بقوله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الاحسان فقابلته سطواتنا الشريفة على قوله وفعله وما حاق المكر السيء إلا بأهله وخيل ركابنا الشريف بالابليستين فى العشرين من ربيع الآخر فجمعنا بحصنها الزاهر بين ربيعين وتممناها بعشر الاقامة الاستيفاء مالنا فى ذمة جيرانها من الدين فرحبت بنا وبسطت بساطها الأخضر وقالت على الرأس والعين وألقتنا الى درندة وما العيان من صنع الله فى أخذها كالخبر وقررنا صدع صخورها باختلاف الآلات فجاء ماقررناه نقشاً على حجر وادعت أن صخرها أصم فاسمعناه من آذان المرامى تنفير المدافع وتحريك الوتر وطلعت فى ظهر الجبل كدمل قطار كل جرح من سهامنا بريشة الى فتحها وظنت صون من بها العلو ذلك الفسح فطالت سيوفنا الى دواء القوم وسفحها وقرعنا جبلها بسبابات المدافع وكسرنا

الريد

أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقانى بنو الحسن وفيهم عبد الله فانى أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدى وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه وإياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى إذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبدالله إلى جانبه لحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبدالله بن الحسن وقال يا أبا محمد قدعلمت أن مما أعطيتنى من العهود والمواثيق أنك لاتريدنى بسوء ولا تكيد لى سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظنى المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدى عبدالله بن الحسن فأعرض عنى فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلى فرفع رأسه وملأ عينيه منى ثم وثب حتى جثى بين يدى المنصور وقال أقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالنى الله أن لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وإبراهيم ويستعلم أخبارهما قال على الهاشمى صاحب غدائه دعانى المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول ويلك أصدقينى فوالله ما أريد إلا الألفة ولئن صدقتينى لأصلن رحمه ولأتابعن البر اليه وإذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب وهى تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمى عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال مادواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك فى بنى سليم قال صدقت هى والله أمتى ابتعتها بمالى ورزق يجرى عليها فى كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندى سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو فى بنى فلان قال صدقت هو والله غلامى دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الأمتعة وأخبرنى أن أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن فى بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيث فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم

(حرف الهمزة)

(الأسد) من السباع والأنثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحرث وقسورة والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه إنسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم ويستمر بحرسه ثلاث أيام ثم يأتى أبوه فينفخ فيه فتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلوقة سبعة أيام ثم تفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه إلى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه

منه الثنية وأمست حلق مراميها كالخواتم فى أصابع سهامنا المستوية وخر بحرها طائعا فركبنا عليه سفن جسور على الزحف جاسرة وأقلعنا إلى خشب سفنها المسندة ففرقنا قلوع سائرها وخربنا قرينتها العامرة هذا مع أن الملك خطبها لنفسه وأراد أن يعرج اليه فترفعت عليها ولم ترضه لنقص العرج أن يعلوا عليها فرحل عنها ولم يخط من ديوان وصلها بمسموح ولكن ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بأبى النصر وأبى الفتوح وتعلق سكانها بأذيال الامان فأمناهم ولكن كانوا فى صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبيل التخلص منها براعة فأحسنا الختام بدندرة والقينا أكسير المدافع على حجرها الذى كان غير مكرم وأحسنا التدبير فى الصناعة وسمعت كرت برت بذلك فألقت من بها وبئر معطلة وزهت فرحة بكسرها المشيد ووصلت مفاتيحها يوم هذا الفتح مهنئة بلسانها الحديد وغارت عروس جهنتان من لك فخطبنا جمالها البارع وجهزت كتائبها يشهد لها بالخلو من الموانع وهى أيضا ممن خطبها الملك لنفسه فتمنعت وأراد السمو إلى أفقها العال فاستسفلته وترفعت وعوت كلابه فلقمتهم ما ثقل وزنه من أحجارها الثقال خلافا لمن أصبح الصخر عنده بمثقال وعلم طفرق ان سهامنا فى كل

لايعاود فريسته ولايأكل من فريسة غيره ولايشرب من ماء ولغ فيه كلب وفى ذلك يقول بعضهم:

سأترك حبكم من غير بغض ... وذاك لكثرة الشركاء فيه
إذا وقع الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء ... إذا كان الكلاب يلغن فيه

وإذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جداً ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الأمور وعدم الاكتراث بالغيور. جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كربه أنه لايقرب المرأة خصوصا إذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضىء بالليل عين الأسد وعين النمر وعين السنور وعين الافعى * وروى أنه لما تلا رسول الله ﷺ والنجم إذا هوى قال عتبة بن ابى لهب كفرت برب النجم يعنى نفسه فقال رسول الله ﷺ اللهم سلط عليه كلبا من كلابك. ينهشه فخرج مع أصحابه فى عير إلى الشام حتى إذا بمكان يقال له الزرقاء زأر الأسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أى شىء ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت إلا سواء فقال أن محمدا دعا على ووالله ما أظلت السماء من ذى لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء أسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغط ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم أن محمدا أصدق الناس ولبعضهم فى الأسد

عبوس شموس مصلخد مكابد ... جرىء على الأقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه فى الدجى ... كجمر الغضى فى وجهه الشر ظاهر
يديل بانياب حداد كأنها ... اقاص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) إذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من من شر الأسد سبب ذلك على ما قيل أن بختنصر رأى أن هلاكه يكون على يد مولود فجعل يأمر بقتل الأطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل أن بختنصر توهم ذلك فى دانيال فضرى له اسدين وجعلهما فى الجب والقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فاقام ماشاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى إلى ارمياء بالشام ان اذهب إلى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت إلى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفنى فقال من أرسلك إلى قلت ارسلنى الله اليك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره والحمد لله الذى لايخيب من قصده والحمد لله الذى من وثق به لايكله إلى غيره الحمد لله الذى يجزى بالاحسان إحسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذى يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فرقه ورجع (وحكى) أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شىء (وحكى) أن ابراهيم بن أدهم كان فى سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الأسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واحفظنا بركنك الذى لايرام وارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت رجاؤنا ياالله ياالله ياالله قال فولى الأسد هاربا * وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام فى سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهى أول حمى نزلت فى الارض ثم شكوا اليه الفأرة فأمر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفأر فلما كثر وزاد ضرره وشكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فأمر الله سبحانه وتعالى الأسد فعطس فخرج منه الهر فحجب الفأر عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه

عليه

عن المنع وجنح إلى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته فى الفاتحة وضحك ناموس ملتكمنا الشريف على من دعى بكختنا وكركر ولكن ابكتهم سهامنا دما جرى من محاجر القلعتين ولم يتعثر وقال حصن كختا ان كانت قلعة نجم عقابا فى عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتى بأجنحة أو كان علاها من الأصيل خضاب فكف الخصب يتيمم تربى ويمسح بياض جبهته فأنا الهيكل الذى ذاب قلب الأصيل على تذهيبه وودد بنار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التى لولا سمو فرعها تفكهت به حبات الثريا وانتظمت فى سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فأرمدنا عيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم ووصل النقيب بتنقيبه عن مقاتلهم إلى الصواب وأيقنوا أن بعده لم يضرب بيننا بسور له باب وكان منهم ماثهم عذبا فأكثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدى دلو فلم ترض أم المنع بغير الفطام وأمسى دلوهم كدلو ابى زيد السروجى لايرجع

عنيه الصلاة والسلام عن أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه أن صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج وإذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة وإذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش الف سنة على ما ذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (والابل) قيل ما خلق الله شيئا من الدواب خيرا من الابل أن حملت أثقلت وأن سارت أبعدت وأن حلبت أروت وإن نحرت أشبعت وفى حديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وهى من الحيوان العجيب وإن كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للادمى وغيره حتى قيل أن قطارا كان ببعض حبله دهن فمرت فأرة بجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماؤه قليل وما ماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل إنه يرتفع ظمؤها إلى عشر وفى الحديث لا تسبوا الابل فإنها من نفس الله تعالى أى مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذى يعرف لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشىء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فإنه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أى شىء هى من اجزائه وهو من الاحرار حتى قيل أنه لا ينزو لا على أمه وعلى أخته حتى قيل أن بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد إلى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شىء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا وفى معدته قوة حتى أنها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل اكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق النساء فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فذلك حرمها . وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء فى ذلك فذهب الاكثرون إلى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبى وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف فى ذلك أحمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقى وهو مذهب الشافعى القديم (خواصه) قال ابن زهير وغيره أكل لحمه يزيد فى الباه وفى الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره إذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده إذا ربط على دم عاشق يزيل عشقه (الأرضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها من الأرض أضيف اسمها اليها قال القزوينى إذا أتى على الأرضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال ان الدابة التى دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها أنها تبنى لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله إلى أعلاه وله فى احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتى من خلفها ويحتملها ويمشى بها جحره لانه إذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الأرنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الأرض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والأنثى وله شدة شبق وربما تسفد وهى حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما أنثى . ومن عجائبها أنها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتى الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أورآه

تيلة ولا يجلب تقع غله وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والأحكام والقلبوا صاغرين إلى الطاعة وقد قابلنا انف جبلهم بالارغا ورجعوا عن خليلهم الكردى لما قام لهم على جهله الدليل وقالوا طاعة السلطنة الشريفة ما يراعى فيها من العصاة خليل وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرضا خواطرنا الشريفة فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتنكرت أكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست أنوف مراميهم باصوات مدافعنا كان بها زكام وتبرموا من خليلهم الكردى لما شاهد الخطب جليلا وقال كل منهم يا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا وأورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فأمست بالزلزلة مهددة وفروا من سطواتنا الشريفه إلى البروج فأدركهم الموت فى بروجهم المشيدة وسألنا كرديهم فى جزيل ماله ليفدى بنفسه الخبيثه ويروح فلم نرض امنه على كفره الا بالمال والروح وسجناه فى قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها . كريشة فى مهب الريح ساقطه . وتمام البيت معروف عند من له عليه طلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد أزهرت باسمنا

عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة فى ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الأرض خوفا على أولادها من الإنسان وتحفر تحت الأرض الحفائر القوية حتى أنها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهى تحضن الأولاد إلى عشرين يوما ومن طبعه أنه أبله وفيه قوة وشدة وفى سفاده حالة نزوه يصرخ الذكر والأنثى كالسنانير فإذا وقع منه الانزال وقع على الأرض قليل الحركة وعند سفاده تدير له وجهها فإذا ملكها بعد ذلك فإنها تجرى به وهو راكب عليها ويجرى معها (فائدة) ذكر ابن الاثير فى الكامل أن صديقا لِى اصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج ه وقيل التقطت الأرنب تمرة فاختلسها الثعلب فانطلقا يتخاصمان إلى الضب فقالت الأرنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت أنى وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثال (ومن ذلك) ما حكى أن عدى بن أرطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال أنى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بيتهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرىء من الارتعاش العارض من البرد وأن شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وإن شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى وأن علقت عليها زبلها لم تحمل والأرنب البحرى من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة إذا أخذت وسلخت وشرب منها مثقال زاد فى الباه وهو من الأشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعى سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها أنها لدغت انسانا فى رجله فانصدعت جبهته (وحكى) انها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لى أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هم دقاق الاعناق صغار الأذناب مقاصة الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى إذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتى البساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل إذا قطع ذنبها عاد كما كان وإذا بلغ نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للإنسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل إذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وإنما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد أضلاعها أى بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسد بقدرة الله تعالى الا نادرا ه ومن عجيب أمرها أنها لا ترد الماء ولا تريده

الشريف أغصان منارها وسألت قامتها التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فاجبناها إلى ذلك وآمسعنا به التنكير

معرفة وصارت أبراجها بالنسبة المؤيدية مشرقة وجهز قراعثمان مفاتيح الرها وآمد وأرتشريفه بتشريفهما بتقليدين يرفعان لها فى الشرف محلا لحليناه بذلك وكان من المواطل لحلت المطابقة بالمطل المحلى والهب ابن الغادر بحرارة المعصية ففر إلى برد الطاعة من غير فترة وهز جذع مراحمنا الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين التمرة والجمرة وأقر بذنونه وقال التوبة تجب ما قبلها ودوحة المراحم الشريفة قد مد الله على الخافقين ظلها وعلم أنه ما أحسن البيان عن درندة فى تخليص ذلك المفتاح وسأل أن يحظى من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فاذقناه حلاوة قربنا بعد ماذاق مرارة بينه والبسناه تشريفة بنيابة الابلستين قباس الأرض وهو لا يصدق أنه يرى محاجر تلك التين بعينه وجهزنا ولده داود بدرع من الامن ليأمن بها من يد داود ويتفيأ بظلال جبرنا ويصير بعد حر المعصية فى ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيسارية أن يقام بها سوق الامان فاجبناها وسعرت بها نار الخوف

بعد ما علت فجهزنا اليها بضائع الامن وأرخصناها ... ولكنها

ولكنها إذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها إذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأى جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لاتدور وإذا قلعت عادت * ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا وإذا دخلت بصدرها فى جحر لايستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولاأظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فأصاب رجلامنا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برىء فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فكنت فى حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك إذا أتونى يوما بأفاعى اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلى ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعمونى واحدة فلما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الألم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت ورنقت من نفسى بالحركة أخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه أن كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض منفرجاته إذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذى يشتكى فأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها إلى المكان الذى تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فأخبر الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر فنثرته بين يدى الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه فى الأرض لننظر مايكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به إلى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرىء (لطيفة) من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده مايرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك وإذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن الطف مااتفق له أيضا) أنه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لأنه هو الذى يخيط الملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم ادر مافيها فامر باحضارها فاحضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له * وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لهامتعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن آوى إلى فراشه فلينظفه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البشر وقلبها اذا علق على انسان لايؤثر فيه السحر وضرسها إذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن

وأيقن أهلها انهم ان مشوا فى حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة وأزلنا عنهم بايناس عدلنا الوحشة وأمست قيسارتهم فى أيامنا الزاهرة هشة وسجعت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم * ولم يخل من اسمائنا عود منبر

ولم يخل دينار ولم يخل درهم

وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعة ومات العصيان بتلك البلاد فقالت ارزيكاز الصلاة جامعة وصلت طائعة مع الجماعة فلا قلعة إلا افتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كأس برج أترعوه بالتحصين ان توحنا رأسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت فى الروم لعساكرنا التى هى عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد إذ لم يبق بتلك البلاد ماتعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التى اتخذوها لشرفها قبلة . وود كل منهم أن يحظى من جبهات أعتابنا بقبلة وتنوعوا من الهدايا باجناس صدقت من كل نوع مقبول وبالغوا فى الرقة وأهدوا من الرقيق ماقام له عقدنا سوق القبول وأسفر قرا يوسف من الجمال اليوسفي ونور الطاعة عن بهجتين وأظهر كتاب

للأيمن والايسر للأيسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الأرض الصعبة (الأنيس) وتسميه الرماة الانيسة لأنه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمري (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) في جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب إذا طلي به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد إلا أنه بطيء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش وإذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك وإذا لسعته حية ذهب إلى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك وذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليرام السمك فيأتي لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذي يسمى بالترهير الحيواني وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس وإذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع في فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه إلا بعد سنتين وينبتان في أول الأمر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد إلى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيها في كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذي يزيد في السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله

(الخواص) إذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التي فيه وإذا أحرق واستاك به الذي به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق شيء منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التي بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزويني لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولأجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازي والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازي أحرها مزاجا لأنه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لأنه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء في ادلاجه   بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين الاصفر دونهما * ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا أشهب فلم يلبث أن أتى وفي فمه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه

له حصنا وملاذا ولم يباشر في اخلاص الطاعة بما يقال له بسببه يوسف أعرض عن هذا وجاءت هداياه التي هبت نسمات القبول على اقبالها وجنينا منها ثمار المحبة وجمل التفاصيل التي وسعها سناه الملك ببهجة ولم يترك لابنه في دار الطراز رتبه والنورة التي يحجم ابن فهد عن وصفها إذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذي تميز بأوصاف ما صاحب بحرى السوابق من الفحول التي تجاريها فانه غرة في جباه الخيل قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التي سمت عندنا على السروجي بمقاماتها العاليه ورأيناها أهلة تغني عن الفجر فخصصنا كل سرج منها بالغاشية والجوارح التي خشي النسر الطائر ان يصير منها واقعا وصدق فالفرس وخافت الشمس لما تسمت بالغزالة وألف سرحان الافق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذي أصاب به أغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب وجاء عبارة عن رأى مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الاشياء التي وقعت في محلها

(بالة) سمكة عظيمة قال القزويني يقال أن طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهي تظهر في بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى أنها تتنفر لان لها جناحين كالقناطر إذا نشرتها أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولاخلاص لها منها فتنزل إلى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح إلى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الأخضر والرمادي والأصفر والأبيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكي) أنه أهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال أن نوعها منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح وإذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل إلى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (ح) طائر لطيف يأوي أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التي ركبها النبي ﷺ وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث أن النبي ﷺ ركبه وكذا عمر رضي الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لاعلم الله عليك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط * إذا رأت خيلا على مربوط
تقول سبحانك يامعطي * تمشي إلى خلف إذا ماشيت كأنما تكتب بالقبطي

(والخواص) إذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت وإذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (وبرغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته ابو طامر وأبو عدي وأبو وثاب وهو يذب إلى ورائه (وحكي) أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتي أشد من عضها ولبس لك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيزغوغ بها فيظن من لايعلم له أنه يمشي تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يفلي ثوبه فتلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس في ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابي

ليل البراغيث أعياني وأنصبني ... لابارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي اذ خلون به ... أيتام سوء أغاروا في المواريث

(وقال ابو الرماح الازدي)

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن ... بوادي الغضى ليلي علي بطول
تؤرقني حدب قصار أذلة ... وان الذي يؤذينه لذليل
إذا جلت بعض الليالي منهن جولة ... تعلقن في رجل حيث أجول
إذا ماقتلناهن اضعفن كثرة ... علينا ولاينعي لهن قتيل
ألاليت شعري هل أبيتن ليلة ... ابرغوث على سبيل

(وقال ابن أيبك الصفدي)

ونحن نقيم دلائل ذلك وبرهانه فان القوس إذا عانق سهامه بنصر علم أنه وصل إلى الكنانة وبالغ الغر الجمالي في نظم بديع الهدايا ونسخ الجفاء بكثرة رقيقه وأدر من أواني الصيني كؤوسا اترعها الود بسلاف رحيقه ودخلنا حلب المحروسة وأوصلناها مااستحق لها من ديون الفتح علينا ووردنا ما اغتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التي استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فان ركن هذا البيت الشريف ونسيب مدحه المقدم فيأخذ منها حظه ويثلج صدر البرايا ففيها لهم برد وسلام ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع فيهم عرف العدل ويصير مسلكا لهذا الختام والله تعالى يمتعه في ليله ونهاره من أخبارنا السارة بالاعياد والمواسم ويجعل له من ضياعه أعماله ان شاء الله حسن الخواتم (قلت) وذكرت بهذه الرحلة أيضا رحلتي من الدنيا المصرية إلى دمشق المحروسة المحمية سنة احدى وتسعين وسبعمائة والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصرية والشامية حدث بدمشق المحروسة ماحدث من القتال والحصار والحريق فكتب إلى المقر المرحوي الفخر القاضي ابن الكاتب في شرح ذلك وسالقلم ينسج على

أشكوا الله الرحمن مانالنى ... من البراغيث الخفاف الثقال

تعصبوا بالليل لما دروا ... أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبى ﷺ سمع رجلا يسب برغوثا فقال لاتسبه فانه أيقظ نبيا إلى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أنه نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها . ولقد شكا عامل أفريقية إلى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقرأ ومالنا أن لانتوكل على الله الآية وقال حنين بن إسحق الحيلة فى دفع البرغوث ان تأخذ شيئا من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت قشور النارنج (بعوض) قيل أنه على خلقة الفيل الا أنه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد إنسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله أنه إذا جلس على عضو إنسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى إخراج الدم وعنده شره فى مصاحبتى قيل أنه لايمص شيئا فيتركه باختياره إلى أن ينشق أويطاره ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وان ذلك الدم غذاء لها وأنها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو انك طعنت فيه بمسلات سديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى ... لعيشك مع نشك فيه البعوض

يمله فليس له قرار ... ويثخنه فليس له نهوض

حماه قرصه وطنينه ان ... يبيت وعينه فيها غموض

كانك حين تهدى بالاغانى ... تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيئا سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يامن يرى مد البعوض جناحها ... فى ظلمة الليل البهيم الاليل

ويرى مناط عروقها فى نحرها ... والمخ من تلك العظام النحل

ويرى خرير الدم فى أوداجها ... متنقلا من مفصل فى مفصل

ويرى وصول غذا الجنين ببطنها ... فى ظلمة الاحشا بغير تمقل

ويرى مكان الوطء من أقدامها ... فى سيرها وحثيثها المستعجل

ويرى ويسمع حس ماهو دونها ... فى قاع بحر مظلم متهول

امنن على بتوبة تمحو بها ... ما كان منى فى الزمان الأول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لانسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها إبراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب أن كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) فقيل إن حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار إذا بخر به البيت وإذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله إذا شمه المزكوم زال زكامه على ماذكر (بقر) هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الإنسان وهو انواع منها الجواميس وهى اكثر البانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره الاالبقر وانثاه يضربها الفحل فى السنة مرة وإذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهب

منوالها ولم تسمح على غلبة الظن قريحة بمثالها (وهى) يقبل المملوك أرضا من يممها أو تيمم بثراها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود إلى أبوابها أكثر من هيام العرب إلى ربا نجد ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة لفظها فتركض فى ذلك الضمار وتهيم بواديها الذى يجب أن ترفع فيها على أعمدة المدائح بيوت الأشعار وينهى بعد أشواق أمسيت الدموع بها فى محاجر العين معثرة ولو لم يقر انسانها بمراسلات الدمع لقلت قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فياليته قبض قبل ما كنت عليه ذلك الوصول ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك إلى قبة يلبغا وقد طار بها طير الحمام وحشت حولها تلك الاسود الضاربة فتطيرت فى ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشية ودخلت بعد ذلك إلى القبيبات التى صغر اسمها لاجل التحبب فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فأنشد به لسان الحال قفا نبك من ذكر حبيب ونظرت بعد القباب إلى المصلى وما فعلت به سكان تلك الخيام والتفت إلى بديع بيوته التى حسن بناء تأسيسها وقد فسد منها النظام

فسال وقد وقفت عقيق دمعى ... على أرض المصلى والقباب

وإذا

واذا طلع عليها الفحل التوت تحته إذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى في الاحياء أن شخصا كان له بقرة وكان يشرب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فرغليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الأرض اماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويحملها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوتاه (١) له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب وإذا طلي به اناء اجتمعت البراغيث اليه وإذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها إذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها إذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء وإذا طلي به على الأثر الاسود في البدن أزاله وخصيه الفحل إذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فإنها تزيد في الباه وشعرها إذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان وإذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والأخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام في يده وعكسها المغموضة وإذا أردت معرفة ذلك فالقهما في الماء فالراسية للنوم والطافية لليقظة وإذا أخذ قلب البومة وجعل على اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع مافعلته في نومها (بوقير) طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة إلى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وإن أمسكت اثنتين كان كثير الخصب وإن لم تمسك شيئا كانت السنة جدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي انثى في ذكر إذا أطبق فمه على شيء لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة ارجل وذنب طويل وهو لا يوجد إلا بنيل مصر يقول المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة اذرع إلى عشرة في عرض ذراعين او ذراع ويقيم في البحر تحت الماء اربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج إلى تلك الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له

(١) قوله له كيوتاه بهامش ابن خلدون لوتياه كما في المزهر وروح واللهجة انتهى وليحرر

ونظرت إلى ذلك الوادي الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا فتوهمت أن وادي المصلى قد تبدل بوادي الغضا فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانح وقلوب واصطليت النار وقد أرادت سبي ذلك النادي فشبت عليه من فوارس لهيبها الغارة وركبت في ميدان الحصى فوجدت أوكانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة في موضع القصر واصبح أهله في خسر وكيف لا وقد صاروا عبرة لأهل العصر وتأملت تلك الالسن الجمرية وقد انطلقت في ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بألسنة الاسنة الاتراك فانذهل أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان ووصل الملوك بعد الفجر إلى البلد وقد تلا بعد زخر في سورة الدخان فوجب ان اجرى الدموع على وجيب كل ربع وانشد وقد دخل صبري بعد ان كان في خبر كان

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا

ووقفت اندب عرصاتها التي فحت بالبين فخابت من اهلها الظنون وكم داروا بقمحها خيفة من طاحون النار فلم يسلم

 صدقت المثل بأن القمح يدور ويجيء الى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعد

القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل مافيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره وإذا أراد السفاد أخذ أنثاه وطلع بها إلى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وماذلك إلا أنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلطخ بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ماعليه من سخونة بطنه فيعمد إلى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله ملكا فيحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها إلى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج * وروى ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الأرض ما نبتت فيها خضراء

﴿ حرف الثاء ﴾

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق * فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لاتتم على كلب الصيد * ومن حيلته أنه إذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيستلقى هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء إلى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفى الفراء وفيه الأبيض والرمادى وغير ذلك * وذكر فى عجائب المخلوقات أنه أهدى إلى أبى منصور السامانى ثعلب له جناحان من ريش إذا قرب الانسان منه نشرهما وإذا بعد لصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى أنه قال مرض الاسد فعاودته السباع والوحوش ماخلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد إذا حضر فأعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبره بما قاله الذئب فقال الأسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أتطلب لك الدواء وقال وأى شىء أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعد قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيئا فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر مايخرج منك فان المجالس بالامانات * وقيل خرج الأسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الأسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الأسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغذى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث

آتونى زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا أصبح المسلمون فيه من الخليفة وقد رأوا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكر ما أشار به مولانا على المملوك من الإقامة بمصر فأنشدت من شدة الكرب آها لمصر وأين مصر وكيف لى

بديار مصر مراتعا وملاعبا
الدهر سلم كيفما حاولته
لا مثل دهرى فى دمشق محاربا

يامولانا لقد لبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما قدم على نارين وسلقوا من الألسنة بألسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة العادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رحيل تلا عند لهيب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشك الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا من هذا الامر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم فى كانون والعمرى لو عاش ابن نباتة ورأى هذه الحال وما تم على أهل دمشق فى كانوا الترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال يالهف قلبى على وادى دمشق ويا حزنى عليه وياشجونى ويادائى فى شهر كانون واقام الحريق ولقد يتنفل

يتنفل به فيما بين ذلك فقال له الأسد لله درك من فرضي ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علي التاج الأحمر الذي ألبسته هذا وأشار إلى الذئب (وحكى) أن الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلي جماعة فقال ان الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتي لنصلي فقال قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد لي وضوءا وأرجع * ومن العجب في قسمة الارزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي أتقن ما صنع (الخواص) رأسه إذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت أسنانه وفروه أنفع شيء للمربوط ودمه إذا جعل على رأس أقرع نبت شعره إذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشأن في هلاك بني آدم يلتوي على ساق الإنسان فيكسرها وليس له عدو إلا النمس ولولا النمس لأكلت الثعابين أهل مصر (لطيفة) قيل ان عبدالله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيئا كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخل بيته فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم وإذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الأحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب إلى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله ﷺ لقد كنت أستظل بجفنة عبدالله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يارسول الله هل ينفعه ذلك شيئا قال لا لأنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وإنما يكون هائما هاربا وإذا أراد أن يبيض ذهب إلى بعض الصخور فضربها بذنبه فتنفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا ايل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو الحيوان الذي ينقاد إلى رئيسه كالعسكر إذا ظعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله ﷺ فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الأكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لأكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاء جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الأمة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل الدر إذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه

أحرقت بالنار يا كانون أحشائي نظرت بعد ذلك إلى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للحرب وما لها غير الأرواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الأبيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت إلى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا كشفها وهم في رقعة الأرض كأنهم لم يعلموا بأن الطارقة عالية وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس في الأسحار وقد استيقظوا الحل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الأوتار فأعيتهم رواسيها التي هي كالجبال الشامخة بمن أسس رواسي المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج وتطاولت إلى السور المشرف وقد فضل في علم الحروب وحفظ أبوابه المقفلات فاوقفنا على باب الاوجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشكلات وما أحقه بقول القائل

أن الإنسان إذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان ﷺ أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبى ﷺ بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبرانى عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير فى بيته ﷺ فمات فمكث النبى ﷺ أياما يأتيه الوحى قال لعله حدث فى البيت شىء فخرج للمسجد فنزل عليه الوحى قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير (عجيبة) حكى أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل فى يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلىء ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم وإذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فتطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق إلى نبى لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قالا تتنى به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له ان اذهب خلفه فأى بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يخور الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه وإذا بغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فامسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتى الكلام على الكلب فى حرف الكاف ان شاء الله تعالى (جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق بعض البهائم فى وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد فى بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا فى مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائها ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره أنه إذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكاد أن يريان إلا إذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشى القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقارين الرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدى وتهامى النجدى والتهامى أبيض وله شدة الطيران وإذا تقاتل ذكران تبعت الأنثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر فى الغالب عشرين سنة وإذا قوى على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن شر الله تعالى انه أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التى باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره فى قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون فى اشراكهم (غريبة) قيل ان أبا نصر بن مروان كل مع بعض مقدمى الأكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق فى عنفوان شبابى فمر بى تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع إلى فلم أقتله فلما علم أنه لابد لى من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا لى أنه قاتلى ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه فى استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدتا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (والخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة فى العين وإذا سعط بها إنسان فى كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره (وحدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير تبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادى وهى لا تصيد الاخطفا وفى طبعها تقف فى الطيران

ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بانه قد طبخ لهم على كل باب قدرا فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعت فيه أنفاس الرجال فقلت ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وإلى المحاصرين وقد جاؤا راجلا وفارسا ليشهدوا القتال اقت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وإلى كواكب الاسنة وقد انتثرت وإلى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل وقد بعثرت وإلى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرجت وإلى نار النفط وقد نفطت من غيضها وإلى ذكور السيوف وقد وضعت لمنايا السود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها ومن العجائب أن بيض سيوفهم تلك المنايا السود وهى ذكور وإلى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء وإلى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء وإلى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له وإلى كل مدفع وماله عند حكم القضاء دافع وإلى قامات أقلام الخط وقد صار لها فى طروس الاجسام مشق فانصوبت عند ذلك وأى من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد

وهى

وهى أحسن الطير مجاورة لأنها إذا جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال إنها طرشاء وفى طبعها أنها لا تخطف من الجهة اليمنى لأنها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالأرنب (عجيبة) روى الحافظ النسفى فى فضائل الاعمال ان عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت إلى بعض اخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله إلى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الأرض وقلت يامسبب الاسباب يافاتح الابواب ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضي الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تخفف فى الظل وتنقع فى اناء زجاج فمن لسع قطر منها فى ذلك الموضع واكتحل مخالفا لجهة اللسع ثلاثة أميال ابرأته ودسمها إذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس وإذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل إذا رأت الانسان انقشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال أنها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشرى برديك أن الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة وإذا مشت تطأطىء برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء (حمار أهلى) معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه إلا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية إلى سلوك الطريق (لطيفة) فى الحديث عن النبي ﷺ أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى ستين حمارا كلها لا يركبها إلا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى وأنا عندى يهودى بجيع بطنى ويضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي ﷺ يعفورا وقال أتشتهى الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه وإذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضى حاجته فلما مات النبي ﷺ ذهب إلى بئر كانت لأبى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي ﷺ فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى التعريف والاعلام وللناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض ٭ فمن مدحه أن أباصفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال عيرهَوٌ من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبارا فى الأرض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبى بسارة مثلا من الصحة والقوة وهو حمار سود حمل الناس عليه من منى إلى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة ٭ ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب أنه قال لا تركب الحمار فانه ان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك ماينبغى المركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال اعرابى الحمار بئس المطية ان أوقفته ادلى وان

ذلك إلى المصير وقد استحل فى ذى الحجة المحرم وحل كل قيسى يمانيا وتقدم لخرج النساء وقد أنكرن منهم هذا الأمر العسير فقلت

وغير بدع النسا ٭ إذا تنكرن المدبر

وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته باخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتأملت أهل الباب وهم يتلون لأهل البلد فى سورة الفتح وللحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت إلى ماتحت القلعة من أسواق التجر فوجدت كلا قد محت النار آثاره وأهله يتلون قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة فمنهم من هم شأنه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه فوقفت أنشد فى تلك الاسواق وقد سعرت

٭ الاموت يباع فاشتريه ٭

ونظرت إلى أمير المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من ترك فى بيوتهم أخدودا من وقود النار وقعد لحربهم فى ذلك اليوم المشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وكم مؤمن قد خرج من دياره حذر الموت

تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطيء فى الغارة لاتوقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشرى

ان الحمار ومن فوقه حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه إذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فاخذوا فاصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت وقيل لهم انما أخذوا باصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ما عندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلات والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولأجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع فراسخ فى يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو اطير منه لكن إذا ابصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة إذا رأت الذئب والفار إذا رأى الهر ومن طبعه أنه لايريد الا ذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويفسد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من أحدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لابأس به غير أنه لايجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شيء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله ﷺ اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شيء أبله من الحمام فانه تؤخذ افراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ * وقال الجاحظ. وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تبتاع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شيء من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعه وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرىء حرق النار إذا خلط بالزيت منه وذبل الاحمر ينفع للسع العقرب إذا وضع عليه وإذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دار صينى نفع من الحصاة

(حرف الخاء)

(الخطاف) انواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادى اللون يسكن ساحل البحر ومنه مالونه اخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الأجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصفر يألف المسجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم انه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك

وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعا قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ونظرت ضواحى البلد وقد استدت فى وجوههم المذاهب ومالهم من الضيق مخرج وضاقت عليهم الأرض بما رحبت لما غلق فى وجوههم باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا واعدم أموالهم من كل عسر يسر ولانتهاك مخدراتهم من كل خشية سترا واقطع الماء عنهم الى كل خير سبيل فانك حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم نظرت الى سماء ربع غربت شمسه بعد الاشراق فانشدت وقد ازدادت كربا من شدة الاحتراق

فديناك من ربع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وانتهيت إلى الطواقيين وقد أسبل عليهم الحرائق شدته فكشفوا الرؤس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب وبعلها بعينه دائر هذا وكم هدات أسبلن من فوق النهود وانيابا فتركهن حبال القلوب ذوائبا ووصلت إلى ظاهر الفراديس وقد قام كل أهل فردوس بيته فاما ... بهم واندهشت لتلك الانفس متى ما تعمن شدة الخوف وهى تستغيث للذى أنشأها أولا لا يجدها

لا تجدها تفارق البيوت وهى تبنى بيتها فى أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت فى التراب والماء وأتت فطينته وهى لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لأنه وإن ألف البيوت لا يشارك أهلها فى أقواتهم ولا يلتمس منهم شيئا ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى ❊ تبقى إلى كل الأنام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم ❊ أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

ومن شأنه أنه لا يفرخ فى عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتى بحجر اليرقان ويلقيه فى عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لأولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمى ذهب إلى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشوته ويفتح عينيه (لطيفة) قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال تمتنعين منى ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه إذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد فى الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لأنه لا يبصر نهارا ولا فى ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذى يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين فى ساعة وهو يعمل مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لأنه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى فى طير لأعظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهى تكرهه لأنه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لأنه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الأنثى وهى سائرة فيرى فى مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائى أنه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الأنثى وتحرك أذنابها فى زمن هيجانها وتطاطىء رأسها وتغير أصواتها وتحمل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر إذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الأنثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الأربع ما للخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فيقطع ما لاقاه وإذا التقى ناباه من الطول مات لأنهما حينئذ يمنعانه من الأكل ومن عجيب أمره أنه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها وإذا عض كلبا سقط شعره وإذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره أنه إذا ربط على ظهر حمار بال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده إلا بالقلع مع شىء من لحمه على ما ذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الأرض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الأطباء فيها هو ذات يوم وإذا بطارق يقول من به وجع ذلك كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتونى بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذى يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المطروح ان الله تعالى ما خلق

أجسامهم ومن أسمه كما يقال بالصحة والسلامة والى الشلاحة وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهلها الكبود وقعدوا بعد تلك الربوع على أديم الارض ونضجت منهم الجلود ولقد والله عدمت لذات الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست لم ترقأ لى دمعة وأكلت الأنامل من الأسف لما سمعت بحريق أطراف السبعة فأعيد ما بقى من السبعة بالسبع المثانى والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتقربت إلى ظاهر الباب الشرقى فتشرقت بالدموع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله دار عينه وكرومه الكريمة فى جنتين من نخيل وأعناب وتوسلت إلى ظاهر باب كيسان فأنفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الأزهار والدراهم رباها وسمحت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها وكابرت إلى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فيالهفى على عروس

دمشق التى لم تذكر محاسنها أسماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستبعدها

شيئا سدى وإن فى أخس المخلوقات أهم الأدوية فسبحان القادر على كل شىء (الخواص) إذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفهما من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض وإذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لأنها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة وقال عليكم بإناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى إلى الريح الجنوب وقال إنى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم بالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك ارهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس إلا ويقول كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث أن الملائكة لا تحضر شيئا من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى ﷺ على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لأن ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فأغرقوا لأن الحصان إذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فأعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى إذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قبل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربة كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصبروا عليها ... فان العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها أناس ... ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ... وتكسبنا الأباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل ما دب على الأرض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال قد أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وأن الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى يا عزرائيل امهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة

ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرام وقطع جنين نبتها عن رضاع ثدى الغمام فاستقيت لها بقول ابن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأياما مضت فيها
مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه
حوامل المزن فى أحشا أراضيها
فما نضا حبها قلبى لنيربها
ولا قضى نحبه ودى لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها
ولا نسيت مبيت جار جاريها

هذا وكم عاكف قبل اليوم أويناه بها إلى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعد ما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أوتار أنهاره فلم يبن له مغن وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى واستسمع الناس من قال

انهض إلى الربوة مستمتعا
تجد من اللذات ما يكفى
فالطير قد غنى على عوده
فى الروض بين الجنك والدف

وأصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الحنظل واليسر عسيره

فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل إن واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا لحركة فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التي اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الأرضة حتى قيل أنهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت ه

وأما الدابة التي من أشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهي مختلفة الألوان فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين إلى منى ومعها عصى موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى أنها تخرج إذا انقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك ما نعلم لها قضية غير أنها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء وإذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بأنثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به إلى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لأنها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه فى الهواء أياما حتى تنفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل أن الدب يقيم أولاده تحت شجرة العجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها إلى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لا يقطع إلا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحد إلا قتلته (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك وإذا هرمت لم يبق لبيضها مخ وتوصف بقلة النوم قيل أن نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولأجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل أنها إذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر وإلا فأنثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث أن النبى ﷺ أمر باتخاذ الغنم للأغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفرخ من البيض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه يورث النقرس والبواسير على ما ذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الأماكن الدافئة إذا كان مصرورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن نصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الأبيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد إلى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه إلى أن ينفذ ما فى جوفه ثم يخرج شيئا كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج إلى السفاد ويلصق الذكر مؤخره إلى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقا بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا إذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير ترك فى الشمس بعد فراغهما من

ولقد كان أهلها فى ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وطاح من غير توريه عطره الباسم ولم ينتظر لزهره المنثور على ذلك الوشى المرقوم رسالة من النسيم سحر به وكيف لا وقد محى سجع المطوق من طروس تلك الأوراق النباتية هذا وكم عروس روض سور معصمها النقش فلما انقطع نهرها صح أنها كسرت السوار وكم دولاب نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم بالقصب وعطلت نوبته من تلك الادوار فوقفت أندب ذلك العيش الذى كان بذلك التشبيب موصولا وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة المطربة إلى مغنى الربوة دخولا لم لا أشيب بالعيش الذى انقرضت أوقاته وهو بالذات موصول ونقص يزيد فاحترق ولا ينكسر لمزيد الحريق على صنعه وانقطع ظهر نور فأهلك الحرث والنسل بقطعه وذاب بردى وحمى مزاجه لما شعر بالحريق ولم يبق فى ثغره الاشنب برد حصبائه ما يبل الحريق وانقطع وقد اعتل من غيضه بانياس ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آس وجرى الدم ولا شدة الطعن بالقنوت وكسرت قناة المرجة فذاقت مر العيش بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات وكسر الخلخال لما قام الحروب على

النسج فيموت، وهو سريع العطب حتى أنه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المراة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته … معنى بأمر لايزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما … ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

(وقال آخر)

يفنى الحريص بجمع المال مدته … وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها … وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(حرف الدال)

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لأنه إذا سقط من بين أصحابه لايهتدى إلى الرجوع إليه وفيه عن الخصال الحميدة مالا يحصر منها أنه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل أنه ليوقته ويقسمه وربما لايخرج فى توقيته وفى الصحيح إذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك للعرش * وروى الغزالى عن ميمون بن مهران أن لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث أن النبى ﷺ قال لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الأول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لااله إلا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى ﷺ أنه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارىء القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لاتسبوا الديك فانه يؤقت للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لإبراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شىء يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج لمصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح إلى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا مانرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق إلى هذا القدر فأرسل إليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ماهذا فقصت عليه القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسماعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونه ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الأبيض يسود وعلى الأسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث إذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الأخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء (وحكى) أن المنصور كان جالسا فالح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى ﷺ أنه كان لايقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا إن الذباب إذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى

ساقه وسقط رأس كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على أوراقه وخر نهر حمص خاضعا وتكدر بعد ما كان يصفى لنا قلبه وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لايملكون حبة طالما كان أهله فاكهين ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا نخوض مع الخائضين وذبلت عوارض تلك الجزيرة التى كانت على وجنات شطوطه مستديرة فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها لاحاجة لنا بحمص والجزيرة فيالهفى على منازل الشرف وذلك الوادى الذى نعق به غراب البين ويا شوقى إلى رأس تلك المرحلة التى كانت تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين هذا وقد اسودت الشقراء فامست كابية لما حصل على ظهرها من الجولان وجانسها العكس وأضحت باكية على فرق الأبلق واخضر ذلك الميدان (يامولانا) لقد بكى المملوك من الاسف بدمعة حمراء على ماجرى من أهل الشهباء هل فى الميدان على الشقراء حتى كذب الناس من قال قل للذى قايس بين حلب وجلق بمقتضى عيانها ما تلحق الشهباء فى حلبتها تعثر الشقراء فى ميدانها فقال لسان الحال والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبوا الجواد وقد يصاب الفارس بالعين التى

زنبور لحكمكت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هـذا كان حتفا قاصيا ولولا هـذا العلا لقتلك وقال الجاحظ مع الذباب أنها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن مايكون وقيل إن الماشط تستعمله ويأمرون به العرائس وقيل إن الذباب إذا مات والقى عليه برادة الحديد عاش وإذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو تمامـة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالأخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الأخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وإذا أراد السفاد اختفى ويطول فى سفاده كالكلب وإذا جاع عوى فتجمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه وإذا خاف منه الإنسان طمع فيه وليس فى الأرض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه إلا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولايسمع له صوت وقيل إذا أدماه الإنسان فشم الذئب رائحة الدم لايكاد ينجوا منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاما كما أن الحية إذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجوا منه وكالكلب إذا عض الإنسان يطلبه الفار فيبول عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل لايعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب وإذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر أنهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها لمعانا وبريقا فتقدموا اليه وإذا هم بشىء مثل القبة قال فجعلوا يضربون بالفئوس إلى أن كسروا فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ماصنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعدما ساروا فى البحر والقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل إنهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الأكبر (رخم) طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور يقال إنها صماء وسبب ذلك ماقيل فى بعض الحكايات أن موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فأصمها الله تعالى حتى لاترشد أحدا إلى موضعه .

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال إنها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح فيها خلقته بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لأن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الأربع فإذا جاء الشتاء دخل تحت الأرض وبقى إلى أيام الربيع

بعد ذلك إلى البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينة فقلت يارب مكة والحرم أنظر إلى أحوال أهل المدينة ولكن مادخلت بها إلى حمام الا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حماما وأعلم القوام والقاعدون بأرضه انها ساءت مستقرا ومقاما وتلا على بيت ناره قلنا يانار كونى بردا وسلاما فحسن أن أنشد قول ابن الجوزى من كان وكان الحار عندك بارد

والنهر أمسى منقطع والعين لا ماء فيها

ما حيلة القوام

وأتيت بعد ذلك إلى الجامع الاموى فإذا هو لأشتات بالمحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت بأذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحرية وتشوقت إلى النظم والنثر لما نظرت إلى تلك الشذور الذهبية وآنست من جانب طوره نارا فرجع إلى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقد زها بالبساط والكرسى وقلت هذا ملك سعد من وقف فى خدمته خاشعا

وشقى من لم يدس بساطه ورآه طائعا ولقد صدق من قال أرى الحسن مجموعا بجامع جلق

فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته أنه إذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنار ويغول بالليل وأكثر مايوجد بالغياض وإذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله الف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلايلتفتون إلى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بأرض الصين ومن عجيب أمره أنه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف إذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع إذا ابصر الإنسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الأزرق (سنور) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة (حكى) أن أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ماتصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الهر قال أبيعه قال بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل أن الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الإنسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى يغسل وجهه بلعابه ويلطخ وبر ولده بلعابه حتى يصير كأن الدهن يسرى فى جلده وقيل إذا بال الهرشم بوله ودفنه قيل لأجل الفار فإذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال .

ألا كل من لايقتدى بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(حرف الشين)

(شاد هوار) حيوان يوجد بأرض الترك يقال أن له قرنا عليه أثنتان وسبعون شعبة مجوفة فإذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل أن فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وأنه أهدى إلى بعض الملوك شىء من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال أن من الحيوان شيئا يوجد بالغياض فى قصبة أنفه أثنا عشر ثقبا إذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحترز فإذا لم يمسك منها شيئا ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر إلا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج

عبد له قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته رأيته فى القبلة من شدة الظمأ وقد قويت من ضجيج المسلمين أناته وخفض النسر جناح الذل وود بأن يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش ولذلك الناظر هذا وكم نظرت إلى حجر مكرم ليس له بعد اكسير الماء جابر واحتفت نجوم تلك الاطباق التى كانت كالقلائد فى جد الفسق ومرت حلاوة نارها بعدما ركبت طبقا عن طبق وأصبح روحه وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء أن تقطع السلاسل ولم تشر الناس بأصابعها إلى فصوص تلك الخواتم المذهبة ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة سكيه الطيبة وحلاوة سكيه الطيبة وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضة وأنشد لسان حاله لو أن مشتاقا تكلف فوق ما .

وفى وسعه سعى اليك المنبر وودت العروس أن تكون

بمجاورة خلجانها لتبل ريقها برحيق الامن إذا نظرت الى عاصى الحمدية وقد دخل جنانها ونظرت الى فوار أبى نواس وقد

الصقر وحرّمته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك أنه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق فى بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيدفأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شنخرور) طيراسودفوق العصفور يصوت بأصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة وإذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف وات الشعر ومن عجيب أمرها أنها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهى صفوة الله من البهائم ويقال فى المدح هو كبش من الكباش وفى الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لى الاخوان حين طبختها أأطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

من العجب أنه يأتى غنم من الهندللكبش منها ألية فى صدره وأليات فى كتفيه وألية على ذنبه وربما تكبر أليه لضأن حتى تمنعه من المشى ومن عجيب أمرها أنها إذا تسافدت وقت المصرلا تحمل وعندهبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه وإذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها وإذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه وإذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ماذكر والله أعلم (ضب) حيوان يحمل جحره فى الأرض الصلدة وعنده بلم فربما لايهتدى لجحره إذا خرج منه فلذلك لايحفره الابقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه أنه يصبر على الماء يقال انه لايشرب فانه يبول فى كل يوم أربعين قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها فى الأرض وتتعاهدها فى كل يوم إلى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة بصره وإذا عطش تنشق النسيم فيروى وبينه وبين الافاعى مناسبة وذلك انه لا يخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان اعرابيا أتى النبى ﷺ وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا ياعمر أماعلمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم اقبل الاعرابى على النبى ﷺ وقال والله لا آمنت بك الأن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى ﷺ يا ضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول الله رب العالمين فقال من تعبدقال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا يا ضب قال رسول رب العالمين قدأفلح من صدقك وقد

انقطع قلبه بعدما كان يذب وينجرا وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء ألا فاسقنى خمرا ودخلت الى الكناسة وقد علاها غبار الحزن فتنهدت من الاسف على كل ناهدة ورثيت للنساء وقد فقدن بعد تلك الانعام المائدة واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الاكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم فى هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استمدوا بسهام من الادعية أطلقوها عن قسى الركوع مريشه بالهدب من جفن ساهر متصلة اطرافها بدموع ونظرت إلى الربان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظماه وتبلد ذهنه حتى صار مايعرف من أين الطريق إلى باب المياه ومشيت بحكم القضاء إلى الشهود فوجدت كلامنهم قد راجع سهاده وطلق ومنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسنة ونزلت فى ذلك الوقت من الساعات إلى الدرج فى دقيقة فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كأن لم يكن له حيفة كم

خاب من كذبك قال فقال الاعرابي عند ذلك ياويلاه ضب اصطدته بيدي من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك اشهد أن لا إله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا مني اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الأرض أحد أكثر محبة مني اليك ولأنت الساعة أحب إلي من أهلي وولدي وما تملك يدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال النبي ﷺ الحمد لله الذي هداك لهذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني ياحبيبي قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال إلهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال ياحبيبي ليس في بني سليم أفقر مني فقال لاصحابه أعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندي ناقة عشارية له فقال ان الله يعطيك ناقة في الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطفك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابي من عنده فتلقاه الف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبي ﷺ فأخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبي ﷺ خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة التي ذكرها الدارقطني بتمامها والبيهقي والحاكم وابن عدي (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد في الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ إذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شيء بعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها في خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل الماء وشربه زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجري ومن العفونات وعقيب الامطار وأول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل في الماء والاعلى من خارج وفي صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكر الله تعالى من الضفدع وفي الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لأسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلي فنادته ضفدعة ياداود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لي تسعون سنة ماجف لساني عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو في نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضي لها من العمر ثلاث سنين وفي ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة في كل شهر ففي السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر ويفسد الذكر في أيام الربيع ويرمي ريشه في أيام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء إبليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادىء السكر لعب وصفق بيديه

وردته وهو كأنه سنان يطعن في صدر الظلماء أو شجرة كدناء تقول انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها في السماء أو مغترف بيده الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضاء أو عمود وقاء أشار الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كان أكاليل الجوزاء له من جملة البضائع او أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثأرا عند بعض الكواكب فخفض لفقد الماء منازه وخفي بعد ما كان به أشهر من علم وجدع أنفه وطالما ظهر وفي عرينه شمم فقلت لست أنسى الفوار وهو ينادي

يض مائي وعطل الدرحالي

فتمنيت من لهيبي بأني أشتري غيضه بروحي ومالي فلا والله ما كانت الا أيسر مدة حتى رجع الماء إلى مجاريه وانتسم ثغر دمشق عن شنب المرى بعدما نشف ريقه في فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعدما قامت على ساق وقدم وبطلت آلتها التي كانت لها على تحريك الاوتار جس الميدان نعم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل السيوف في أجفانها لما علمت أن الزيادة الحد نقص في المحدود وفاضت غدران

كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الأسد فاذا انتهى سكره وانقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قيل لأنه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شيء قدير

(حرف الظاء)

(ظبى) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الأول الآرام وهو ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر هى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويله العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبى يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الماء الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحييها فى الماء العذب فأى شيء أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى يريد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لاتزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تأتى بيت الظبى فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل مافيه وتأكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى إسرائيل بعبادته والسبب فى ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى فى قلبه من حب عبادة البقر شيء فابتلى بنى إسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان اخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خورا كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وإنما فعل باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبى عن سيدى أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم تنشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هى حالة عباد العجل وإنما كان النبى ﷺ مع أصحابه فى جلوسهم كانما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغى لولاة الأمر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ أنها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير العدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لاتضرب النائم الا اذا تحرك شيء منه والخنافس تأوى اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) وقال ذوالنون المصرى بينما أنا فى بعض سياحتى اذا مررت بشاطىء البحر مرأيت عقربا أسود قد أقبل الى ان جاء الى شاطىء البحر فظننت أنه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فأتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها

الرحمة على رياض الأمن فظهر لنا من المسرة نبات حسن فالحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ~ بعد فالمعذرة من فهامة هذه الرسالة التى هى فى رياض الادب بأقلية والصفح عن طولها وقصر بلاغها بين يدى تلك المواقف السحبانية وليكون محمولا على متن الحلم كلامها الموضوع فقد علم الله أنها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع وذهن ضعيف وليس لسكسير ضعفه عاصم ولا نافع وراحلة فكر أمست وهى عند سيرها الى غايات المعانى ضالع

فسيروا على سيرى فانى ضعيفكم
وراحلتى بين الرواحل ضالع

(هذا) وكم تولد للملوك فى طريق الرمل من عقله وكم ذاق من قطاع الطريق انكادا حتى ظن أنه لعدم النصرة ليس له إلى الاجتماع وصله وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التى هى نعم الكنانة وأنشد وقد تحير فى الرمل لفراق ذلك التخت الذى أعز الله سلطانه من زعقة الغراب بعد الملتقى

فارقت مصرا وبها أحبابى
وفى طريق الرمل صرت حائرا
مروعا من زعقة الغراب

واستقبل الملوك بعد ذلك بلاد الشام فبئس الحال وبئس الاستقبال من الرحمن ماوصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه

غلاما نائما من شدة السكر تدأقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بهار إلى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت :

يا راقدا والجليل يحفظه ٥ من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك ٥ يأتيك منه فوائد النعم

ثم ايقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت على هذه الخصلة ثم جربنا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

إذا لم يسالمك الزمان فحارب ... وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما ... تموت الأفاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد ... وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز ... عليه من التضييع فى غيره واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) إذا لدغ أحد فقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لادابة بين السماء والأرض إلا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى المحسنين إن ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لاتلدغوه ان ربى بكل شىء عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم ٥ وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ماذا لقيت من العقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى ﷺ أما أنك لو قلت إذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لايضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا ذلك (الخواص) من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الأترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شىء من ورق الزيتون برىء أيضا لوقته (عقعق) طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لايأوى إلا الأماكن العالية وإذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لايفسده (الخواص) دمه إذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه (علق) دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والادمى اذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا وإذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن ٥ خواصه ان البيت فاذا بخربه هرب مافيه من البق والبعوض وإذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائرا عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس إلى ان خطفت

الواقعة واشتد القتال وحصدوا سنبل الرشاد فدرست فلا أعيد لمعيد حربهم دروس وأداروا رحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال

من كل عاد كعاد فى تجبره ... من فوق ذات عماد شادها إرم
لايجمعون على غير الحرام إذا ... تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك إلى انه شلح بقرب الكسوة فى الشتاء وانتظرت ملك الموت وقد أمسيت لى مهجة فى النازعات وغيره فى المرسلات وفكرة هل أتى (هذا) والليل قد انطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لوكان فى قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم فخرج ولم يجد له تعديلا ولكنه صبر على الألم بعد ماكاد يدى من الوهم ولم يلق له مجيرا لما قوى ألمه وضعف منه الحيل إلا أنه دخل تحت ذيل الليل فوصل إلى البلاد وقد ديومه لوتبدل بالأمس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس ولكنه أنشد

ماتفعل الأعداء فى جاهل ٥ مايفعل الجاهل فى نفسه

عروسا بحليها فذهب أهلها إلى نبي ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها إلى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء. وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزوج إذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشرى فى ربيع الابرار ان الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى إلى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما توفى موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت إلى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها له فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دردا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادما ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤونها وعمد إلى البيت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت من يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فأقامت هناك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة معه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك أخطبي لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتنى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى إذا كان فى بعض الأيام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع إلى الدار وصعد إلى قصرها فلم يراها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا أعلم إلا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وانه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وأنها حين رأتنى كذلك دعت بعض الأطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الأثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وان ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بأمرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم ان يبنوا له بناء ولا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا ان يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم ان يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها ان تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه ليرميه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بإبهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شىء فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم إلى بدنها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيئا قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة. (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى ﷺ وعلى غار عبد الله بن انيس لما بعثه النبى ﷺ لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان

فأعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة وبدأ به فى الدنيا ببراعة الامن وفى الاخرة بحسن الخاتمة (قلت) قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشا ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين أن أذكر بعد ذلك ما يحتاج اليه المنشىء الكامل الأدوات من المحاسن اللائقة به والله المستعان (قال أبو حيان التوحيدى) يجب على المنشىء أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وأن يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشبعا كل المعانى عارفا بما يحتاج اليه ماهرا فى نظم الشعر نظيف الثواب لطيف المركب ظريف الفلاء ليق الدواة حاد السكين مترددا إلى الناس بخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضرة مليح النادرة غير قنف ولا متعجرف ولا متكلف الألفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة (آداب الكتابة) روى الشعبى أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل فيها قل ادعوا

الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن

جالوت يطلبه * (الخواص) * نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة إذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم إذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فار فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر انثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفار فسقط فأخذته أنثاه * ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه (عجيبة) قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فأراد ابن عرس أن يأخذ ما رطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شىء فأفلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الأكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ماسمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول إذا صاح مرتين فشر وإذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والأب يسعى فى طعمتها إلى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت افراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فيأتيها ومنه قول الحريرى

يا رازق النعاب فى عشه   وجابر العظم الكسير المهيض

ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقيم من الأرض ماوجد ويسمى بالفاسق لأنه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد فى طريقه رمة فسقط وترك ما أرسل إليه يسمى بالبين لأنه إذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق فى أثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب الفة وذلك انه إذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لايضره (الخواص) إذا غمس الغراب فى الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده وإذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر فى خرقة على من به السعال زال (غرغر) دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بأن جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنبهم الأراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينتفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى اعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة إذا قطر فيها (فأرة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبى ﷺ انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتى إلى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلوها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن

الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذى أعطيه داود عليه السلام أما بعد (وروى) أن أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة (وعن) جابر ابن عبدالله عن النبى ﷺ انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين إلى قريتين فاترب أحدهما ولم يترب الآخر فاسلمت القرية التى أترب كتابها (وقال الحسن بن وهب) كاتب رئيسك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) فى تذكرة الوداعى ان القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز كان اذا كتب كتابا بدأ فى ترسله بالبسملة لتتم بركتها سائر الكتاب ورمله ويخزن ذلك الرمل ويحترز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) فى قوله تعالى انى ألقى إلى كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه والعنوان فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الأثر

أراد

أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم (الخواص) عينه تشد على الماشى يسهل تعبه وإذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان غليظ أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده يوجد بالنيل ووجهه أوسع من وجه الفرس تصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الإنسان وغيره (فهد) حيوان شرس الأخلاق قال ارسطو هو متولد من الأسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى (فيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والأنثى أم سبل وهو ينزو على أنثاه إذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده وإذا أرادت الوضع دخلت النهر لأن رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل إن ثدييه فى صدره كالإنسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعدة فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام إلى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة وإذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الامنخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء إذا ملأه من طعام أو ماء أولجه فى فيه لأنه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله فى طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هرون مولى الأزد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف إلى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر فى وجهه فأدبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

ياقوم انى رأيت الفيل بعدكم   تبارك الله لى فى رؤية الفيل
رأيت بيتا له شىء يحركه   فكدت أفعل شيئا فى السراويل

وقيل إذا اغتم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بانفسهم ويتركونه ٭ ومن عجيب أمره ان سوطه الذى به يحث ويضرب محجن جديد أحد طرفيه فى جبهته والاخر فى يد راكبه فاذا أراد شيئا غمزه به فى لحمه وأول شىء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك (قيل) خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا فى بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الأن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة فى قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد فى غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل الف مرة فى كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم انت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم

له قلم الا إذا برى وإلا فهو انبوبة (ومن بديع ماسمعته فى وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الامدى منقول من خط الوداعى

تمشى البراعة والمداد وراءها   ظل على شمس الطروس ينوع
عرض الغوانى لو تلوح لمسلم   هذى المعانى راح وهو صريع
لو لم تكن الفاظه خطية   ماراح سرب اللفظ وهو منيع
الفاظه رقت بوجنة طرسه   فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحى الخطاب لنطقه   فى المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كليميا وقد ضاهى العصا   فغدا يروق بفصله ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا   حاكته فى حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور   والطل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه   هذا يضىء به وذاك يضوع

(وقال فيه وأجاد إلى الغاية) نجاه ذو طرف كحيل إذا بكى تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا وقد راح مشقوق اللسان متى جرى بثغر الدوى المعسول أبدى اللمى العذبا (وقلت من قصيدة رائية)
له يراع سعيد فى نقابه ان خط خطا أطاعته المقادير
يجرى بتحرير العلوم إذا جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم هاكفة جانس النور من أوراقه النور
وأثمر بده البيضاء غرته له إلى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء تلحظنا وهدب اجفانها تلك التشاعير
أوسهم علم باطراف السطور غدا مريشا وله فى الصدر تأثير
كذا المحابره سود العيون فان دانت أياديه فهى الاعين الحور
(ويعجبنى قول الشيخ شمس الدين المزنى فى الدواة
أنا دواة يضحك الجود من بكا يراعى جل من قد براه
دلوا على مثلى من شفه داء من الفقر فانى دواه
وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ) كنانة الفضل دواتى ولها

وقل للناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمنى وأساء فى ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قيص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما (الخواص) جلده إذا بخر به بيت هرب بقه وإذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة وإذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر وإذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة أيام ويقال ما يمسك الله البحر فى هيجانه عن بفيض على الساحل الا اكراما له لانه يقال انه يبر والديه (خواصه) انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الأمراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس فى الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومى يوما إلى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكى مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد فى قبح وسخف وما قصرت عنه فى الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمى العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له أفراخ تمرغ فى الباقى فيتعلق بشوكه فيذهب به إلى أولاده وهو مولع بأكل الافاعى فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه وإذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول أذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركندى) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تحمل ناباه شيئا معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة وإذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر ويقال انها إذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه فى بطن أمه ويزعم أهل الهند انه إذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيئا حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه إذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيئا (كروان) طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة (كركى) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر ومصيفه بأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه إذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى